جامعـــــة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة
كليـــة العلـــوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة تاريخ

موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر ومحمد علي باشا وإصلاحاته من 1798 إلى 1826م

مذكـرة تخـرج لنيـل شهـادة ماستـر في التاريخ
تخصص: الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

إعداد الطالبتين:
- لويزة وداني
- سعيدة خداوي

إشراف الأستاذ:
- محمد زرقوق

السنة الجامعية:2015/2014م

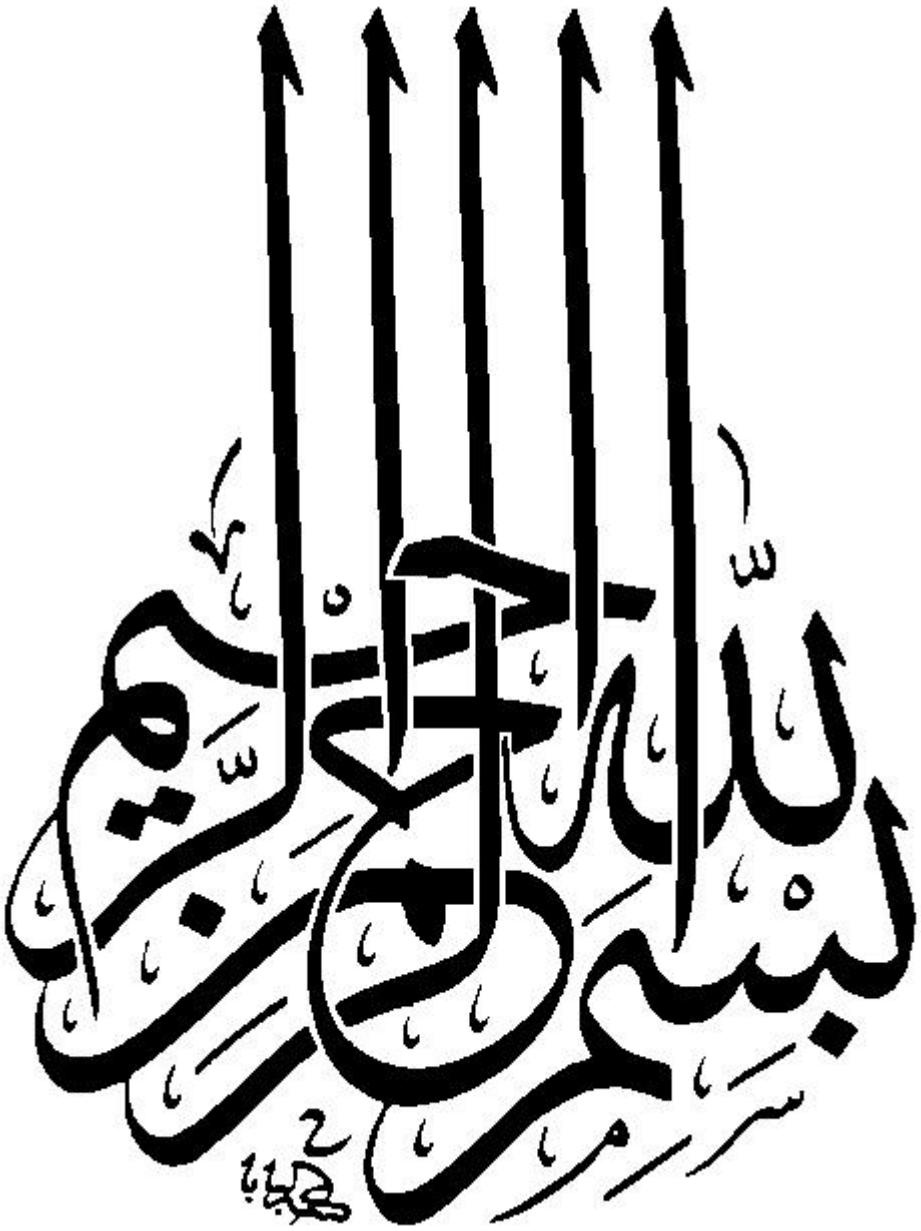
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

و لك الشكر يا رب على ما أنعمت علينا من قوة وصبر

في إنجاز هذا العمل.

بداية نحمد الله تبارك وتعالى ونشكره على كرمه وتوفيقه لنا في إنجاز

هذا العمل المتواضع.

ونتقدم بخالص الشكر والعرفان

إلى الأستاذ المشرف "زرقوق محمد"

الذي كان سندا لنا طيلة مشوار بحثنا هذا

إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد

وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ

إهداء

الحمد لله الذي وفقني على إنجاز هذا العمل المتواضع، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضا

أهدي هذا العمل إلى أغلى إنسانة على قلبي في الوجود، من حملتني كرا ووضعتني كرا

إلى من عندي لها من المحبة ما لا يصفه الواصفون ولا يعبر عن حقيقته العارفون

إلى من روحي معلقة بروحها ولا معنى لحياتي بدونها

إلى موطن أسراري وبلسم شفائي **"أمي الحبيبة"**

إلى منبع اعتزازي وكرامتي ومثلي الأعلى

إلى من فقهني في تجارب الحياة وألبسني روح العزيمة والثبات وزرع في نفسي بذرة الطموح وصاحبني إلى بر الأمان ووفر لي كل سبل النجاح **"أبي الغالي"**

إلى من أنارت لي دربي بدعائها **"جدتي الغالية"** حفظها الله وأطال في عمرها

إلى عزيزتي ومؤنستي في هذه الحياة أختي **"إيمان"**

إلى سندي وموطن ملجئي أخي **"محمد"**

إلى رمز الطفولة ووجه البراءة أخي **"عبد الكريم"**

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي

لويزة

إهداء

إلى رمز الحنان إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر

إلى كل من في الوجود بعبد الله ورسوله.....أمي

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار والذي ستبقى كلماته نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد

وإلى الأبد....أبي

وإلى من افتخر بهم ما حييت

إلى إخوتي: بلقاسم، عبد القادر، عبد الحميد، توفيق، سمير، نبيل، وأتمنى لهم التوفيق

إلى صديقاتي: فاطمة الزهراء، سميرة، نسرين، حيزية، حميدة.

إلى كل من أحاطني بالأمل وتفهمني ساعة الضيق ومد اليد لمساعدتي

ولكل شفاه نطقت بكلمة طيبة لتشجعني

إلى كل هؤلاء أقف وقفة امتنان وشكر وعرفان

سعيدة

مقدمة

إن مصر بموقعها الجغرافي المتميز والذي يتوسط القارات الثلاث أوروبا، إفريقيا، آسيا، جعل منها محطّ أنظار العديد من الدول الكبرى، في مقدّمتها كل من فرنسا وبريطانيا، اللتان كانتا تتسابقان فيما بينها لتضمن كل واحدة منها مصالحها الإستراتيجية بالمنطقة، وقد اشتد التنافس بين الدولتين إبان القرن الثامن عشر، وذلك يعود لما شهدته مصر خلال تلك الفترة من تدهور سياسي كبير وفي جميع الميادين أثر عليها بشكل سلبي وخطير، حيث كانت أهم نتائجه هو توجيه فرنسا حملة عسكرية إليها سنة 1798م بقيادة نابليون بونابرت، وبذلك كانت فرنسا هي صاحبة القرار الأخير في المنطقة، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فقد كانت الحملة الفرنسية على مصرهي أول احتكاك أوروبي بالمنطقة بعد الحروب الصليبية حيث كانت آخر حملة صليبية موجهة إليها هي تلك التي حدثت في عهد لويس التاسع سنة 1249م، كما أن الحملة الفرنسية على مصر كانت هي الأولى من نوعها على بلد عربي تابع لحكم الدولة العثمانية.

وقد كان جامع الأزهر خلال هذه الفترة من الزمن يلعب دورا رياديا هاما، حيث تمثل في كونه مؤسسة دينية بالدّرجة الأولى حمل على عاتقه مهمة الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي ونشر مبادئه، بالإضافة إلى كونه المدرسة التعليمية التي تهتم بنشر شتى العلوم والمعارف، حيث تخرّج منه العديد من العلماء، كما تكوّن في رحابه أبرز الشيوخ الذين لعبوا على مدار التاريخ وفي مختلف الأحداث التي مرّت بها مصر الدور الفعال والمهم، حيث لم يتخلّفوا في البداية عن الدفاع على حقوق الشعب المصري التي انتهكها الولاة العثمانيين والأمراء المماليك، وأيضا بعد دخول الحملة الفرنسية إلى مصر ثاروا على الفرنسيين متخذين بذلك مبدأ محاربة الكفار أعداء الله والدين، وبعد خروج الحملة من مصر ظهر دور الأزهر مرة أخرى من خلال مساندة شيوخه وعلمائه لمحمد علي باشا حيث كان لهم دور مهم في تنصيبه واليا على مصر سنة 1805م.

ويعتبر موضوع موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر ومن محمد علي باشا في الفترة الممتدة من (1798م إلى 1809م)، موضوعا يحمل في طياته العديد من المواقف الهامة لشيوخ وعلماء الأزهر خلال هذه المرحلة، ما دفعنا إلى طرح الإشكالية التالية:

- كيف كان موقف الأزهر من نابليون بونابرت بعد دخوله إلى مصر؟ وهل كان له دور في تعيين محمد علي واليا على مصر؟

وقادنا ذلك إلى طرح عدة تساؤلات والتي من شأنها أن تعيننا في فهم بعض الأحداث التي تعرضنا لها في مذكرتنا ومنها:

- ما نوع العلاقة التي كانت بين مشايخ وعلماء الأزهر ونابليون بونابرت؟
- هل حاول نابليون بونابرت اكتساب الأزهر إلى جانبه أم أراد وضعه على الحياد؟
- هل عارض مشايخ وعلماء الأزهر دخول نابيلون بونابرت إلى مصر أم أيّدوا ذلك؟
- هل كان للأزهر دور في تعيين محمد علي واليا على مصر، وإذا كان الجواب بالإيجاب فما مصلحته في ذلك؟
- كيف كانت علاقة شيوخ وعلماء الأزهر بمحمد علي باشا؟

ولما كان موضوع الحملة الفرنسية على مصر من المواضيع التي درست سابقا فقد أردنا التعمق في دراسته من زاوية مغايرة، تتمثل في موقف الأزهر كمؤسسة دينية من الحملة الفرنسية الاستعمارية الموجهة إلى مصر، حيث لم نتوقف عند هذه النقطة بل أردنا دراسة أوضاع مصر بعد خروج الحملة الفرنسية منها، مبرزين دور مشايخ وعلماء الأزهر خلال تلك الفترة وموقفهم من محمد علي، كما أردنا الوقوف أمام حقيقة الدور الذي لعبوه مساهمين من خلاله بدرجة كبيرة في تنصيب محمد علي واليا على مصر.

فقد كانت رغبتنا في دراسة هذا الموضوع من هذه الزاوية هو نظرا لذلك الغموض الذي كان يسود تلك الأحداث وعدم التطرق إلى دراستها في المذكرات التي نوقشت من قبل، وبذلك تولدت لدينا رغبة لدراسة تلك المواقف التي كان لها الأثر الكبير في مختلف الأحداث التي مرت بها مصر خلال تلك الفترة.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث قمنا بدراسة مختلف الأحداث دراسة تاريخية معتمدين في ذلك على تسلسلها الزمني، ثم قمنا بوصف تلك الأحداث بمختلف حيثياتها ومراحلها، كما وظفنا المنهج التحليلي حتى نتمكن من فهم مختلف المعلومات التي تخدم موضوعنا وإدراجها في المكان المناسب لها.

ولمعالجة هذا الموضوع بطريقة أكثر تفصيلا وتوضيحا جاءت الدراسة بثلاثة فصول: الفصل الأول خصصناه لدراسة جامع الأزهر حيث تطرقنا فيه إلى حيثيات إنشائه في عهد الدولة الفاطمية ومدى اهتمام الخلفاء الفاطميون به، كما سلطنا الضوء على الدور الذي كان يلعبه جامع الأزهر إبان عهد الدولة الأيوبية ومختلف التغيرات التي طرأت عليه خلالها، وعن دوره في عهد المماليك أيضا تطرقنا إليه من خلال دراستنا لمختلف ما ميز جامع الأزهر في تلك الفترة، ولما كانت مصر هي إحدى الولايات العربية التابعة لحكم الدولة العثمانية تطرقنا إلى ظروف وأوضاع جامع الأزهر حيث أبرزنا دوره الذي قام به خلال تلك الفترة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى درسنا بكل إسهاب موقف شيوخ وعلماء الأزهر من مختلف الأوضاع التي مرت بها مصر في فترة الضعف والتدهور جراء سياسة الأمراء المماليك التعسفية التي فرضوها على الشعب المصري.

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر، حيث تطرقنا في البداية إلى أحداثها وذلك من مختلف الأسباب التي أدت إلى توجيه فرنسا لتلك الحملة، ثم درسنا مختلف مراحلها منذ دخولها إلى مصر سنة 1798م إلى غاية جلائها منها

سنة 1801م، ثم تطرقنا إلى موقف شيوخ الأزهر من تلك الحملة، وذلك من خلال مختلف المواقف التي تميزوا بها طيلة السنوات الثلاث من الاستعمار، وتوقفنا عند حقيقة موقفهم من الحملة الفرنسية.

أما الفصل الثالث فدرسنا فيه موقف الأزهر بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر والذي تميز في شخص محمد علي، حيث تطرقنا في البداية إلى أوضاع مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية منها، ثم تعرفنا على شخصية محمد علي وظروف تنصيبه واليا على مصر، وبعد ذلك تطرقنا إلى موقف شيوخ وعلماء الأزهر من محمد علي والذي طبعته عدة مواقف إيجابية، وفي المقابل تعرفنا على سياسة محمد علي تجاه شيوخ وعلماء الأزهر وانقلابه عليهم في الأخير، ثم تطرقنا إلى مختلف الإصلاحات التي قام بها داخل مصر في مختلف الميادين، وبعد ذلك توقفنا عند نقطة سلبية تميز بها محمد علي باشا ألا وهي تتمثل في مختلف أساليبه الاستبدادية التي انتهجها تجاه الشعب المصري خاصة فئة الفلاحين منه، كما درسنا حقيقة تعاونه مع المنظمة الماسونية اليهودية، بينما تضمنت الخاتمة عرضا وجيزا لعدة استنتاجات تم التوصل إليها بعد دراستنا لهذا الموضوع.

وتوجد بعض الدراسات القريبة من موضوع بحثنا هذا، حيث أنه تم التطرق إلى دراسة موضوع "**الحملة الفرنسية على مصر في سنة (1798 إلى 1801م)** بصفة عامة دون الحديث عن جامع الأزهر، وقد نوقشت هذه المذكرة في السنة الجامعية 2011-2012م، وتوجد مذكرة أخرى بعنوان "**التنافس الفرنسي الإنجليزي على مصر من (1798 إلى 1898م)** حيث تم دراسة أحداث الحملة الفرنسية في مبحث واحد من الفصل الأول، وذلك باعتبارها مظهرا من مظاهر التنافس الفرنسي الإنجليزي على مصر، ولم تكن الحملة الفرنسية الموضوع الرئيسي للمذكرة.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر والتي لا يمكن لأي باحث في هذا الموضوع الاستغناء عنها، ومن أهمها "**عبد الرحمن الجبرتي**" الذي ألف كتابا تحت عنوان "**عجائب الآثار في التراجم والأخبار**" حيث اعتمدنا على الجزء 2 و3 و4 منه، باعتبار الجبرتي مؤرخ مصري عايش مرحلة سير الحملة الفرنسية في مصر بكل أحداثها منذ دخولها إلى غاية جلائها منها، كما كان شاهد عيان خلال الفترة التي تلت خروج الفرنسيين من مصر، وعايش فترة تنصيب محمد علي باشا واليا على مصر سنة 1805م، فاعتمدنا عليه مرة أخرى من خلال تطرقنا في كتابه "**مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين**" إلى حملة فريزر سنة 1807م على مصر.

وكذلك اعتمدنا على مصدر آخر وهو "**نقولا الترك**" في كتابه "**ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**"، والذي ساعدنا في التعرف على حقيقة موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الأولى، حيث يروي مختلف أحداثها بكل تفصيل، وبذلك كان مصدرا مهما اعتمدناه في صميم موضوعنا.

أما عن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا فمنها "**أحمد محمد عوف**" في كتابه "**الأزهر في ألف عام**"، والذي أفادنا كثيرا من خلال دراستنا لجامع الأزهر وموقفه من الحملة الفرنسية على مصر، إضافة إلى "**محمد عبد المنعم خفاجي**" في كتابه "**الأزهر في ألف عام**"، والذي اعتمدنا عليه أيضا في فصلنا الأول والثاني وكان مرجعا مهما لنا، وكذلك "**عبد العزيز محمد الشناوي**" في كتابه "**صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر أواخر القرن الثامن عشر**"، والذي أفادنا كل الإفادة في صميم موضوعنا، حيث تمكنا من خلال دراسة مواقف شيوخ وعلماء الأزهر تجاه الحملة الفرنسية على مصر.

ولأجل تفسير بعض المصطلحات اعتمدنا على عدة موسوعات أهمها "**موسوعة عبد الفتاح مقلد الغنيمي**" تحت عنوان "**موسوعة المغرب العربي**"، وأيضا موسوعة أخرى "**لفراج سمير**"

تحت عنوان "**موسوعة التاريخ الإسلامي**" ولدراسة مختلف أحداث الحملة الفرنسية في مصر اعتمدنا "**موسوعة التاريخ الإسلامي لبكر محمد إبراهيم**".

ولا يخلوا أي عمل من صعوبات وإن كانت بدرجات متفاوتة، حيث أنه أهم ما تعرضنا إليه من صعوبات في بحثنا هذا هو انعدام قائمة مسجلة فيها جميع المواضيع التي نوقشت خلال السنوات الماضية، وهو الأمر الذي أدى بنا إلى تغيير موضوع بحثنا ودراسته من زاوية أخرى في وقف وجيز، إضافة إلى انعدام أهم المصادر والمراجع المتخصصة حول موضوع بحثنا في المكتبة الجامعية ما دفعنا إلى البحث عنها في مكتبات جامعية أخرى.

وفي الأخير نتقدم بشكرنا الجزيل إلى الأستاذ المحترم زرقوق محمد الذي كان سندا لنا طيلة مشوار بحثنا هذا، ولم يبخل علينا بمختلف نصائحه وتوجيهاته التي عبدت لنا الطريق، وساعدنا للوصول إلى لب هذا الموضوع، كما نشكر أعضاء اللجنة الموقرة التي تفضلت بقبول مناقشة مذكرتنا، ونحن في حاجة إلى النصائح والتوجيهات وتصويب الأخطاء التي وقعنا فيها سهوا.

الفصل الأول:

جامع الأزهر عبر التاريخ

- **ظروف إنشاء جامع الأزهر**
- **الأزهر منذ عهد الدولة الفاطمية إلى غاية الحكم العثماني لمصر**
- **كفاح الأزهر في عهد المماليك**

يعتبر جامع الأزهر من أعرق المدارس الدينية في مصر والعالم الإسلامي، وواحد من أهم مصادر الشريعة الإسلامية إذ يحوي في كنفه خيرة الشيوخ والفقهاء من المتحكمين في أمور الدين والدنيا، حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى التعريف بجامع الأزهر وحيثيات إنشائه، كما سنتطرق إلى مختلف المراحل التي مرّ بها منذ إنشائه حتى قبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، وفي الأخير سنبحث في تاريخ كفاح الأزهر للأمراء والحكام والمماليك الذين لم يتقاعسوا عن إلحاق الظلم والأذى بالشعب المصري، حيث يعود الفضل في إنشائه إلى الدولة الفاطمية.

1- جامع الأزهر عبر التاريخ:

أ. ظروف إنشاء جامع الأزهر:

قبل التحدث عن جامع الأزهر[1] يجب التوقف عند نقطة مهمة ألا وهي التعرف على حيثيات إنشائه والتي تعود إلى عصر الدولة الفاطمية.

والفاطميون هم طائفة شيعية[2] تقوم دعوتهم على أساس الولاء لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخذوا يدعون ضمن دعوتهم هذه أن الرسول (ص)أوصى بالخلافة

[1] أنظر: الملحق رقم 01، ص 110.

[2] الشيعة: هي من حيث مدلولها اللغوي تعني الأتباع والأنصار، فكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، أما من حيث معناها الاصطلاحي فقد أطلقت على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل إنها ركن الدّين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لأي نبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه أن يعين إمام الأمة... (أنظر: الصلابي علي محمد، **الدولة الفاطمية**، مكتبة الحسين العصرية، بيروت، 2009، ص15).

من بعده لسيدنا علي زوج فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) لتكون متوارثة فيما بينه وبين أحفاده من بعده[1] وهم يدعون الإنتساب إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)[2]

وقد قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب بعد نجاح الدعوة التي قام بها أبو عبد الله الشيعي[3] داعيا لعبيد الله بن محمد[4] والذي يعتبر من نسل جعفر الصادق فلقد حاول جاهدا إلى أن تمكن من النجاح في دعوته وذلك عام (296هـ-908م)، حيث أعلن أن الخليفة الحقيقي المنتظر للمسلمين هو إمامه عبيد الله الملقب بالمهدي والذي هو من نسل السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) ونسبة إليه سميت الدولة العبيدية قبل أن تصبح تسمى بالدولة الفاطمية فيما بعد،[5] وبذلك تمكن الفاطميون من دخول المغرب والقضاء على دولة الأدارسة[6] نهائيا.

---

[1] سالم السيد عبد العزيز، سالم سحر السيد عبد العزيز، **تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007، ص ص 136-140.

[2] سمير فراج: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مركز الراية،(د.م.)، 2007، ص ص 109-110.

[3] أبو عبد الله الشيعي: هو عبد الله حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، من أهل صنعاء وهو الداعي لعبيد الله المهدي وناشر في بلاد المغرب... (أنظر: الصلابي علي محمد، مرجع سابق، ص49).

[4] عبيد الله بن محمد: هو عبيد الله بن محمد بن الحسن المهدي ولد سنة 297هـ/910م بالكوفة، والبعض يقول بسلمية في الشام، يعتبر مؤسس الدولة الفاطمية وينحدر من نسل السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)... (أنظر: حمودة عبد الحميد حسين، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي** دار الثقافة، (د.م.)2007، ص392).

[5] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص134.

[6] دولة الأدارسة: قامت في المغرب الأقصى سنة 173 هـ-331م، اتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم، حيث قاموا بتوحيد البلاد تحت لواء أمرائها العلويين لأنهم ينحدرون من نسل الحسين بن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك بقيادة إدريس الأول... (أنظر: مقلد الغنيمي عبد الفتاح، **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج1، ص ص306 -313).

كما اتخذوا من مدينة المهدية عاصمة لحكمهم بتونس[1] ولما فكر المعز لدين الله[2] في فتح مصر.

أسند إلى جوهر الصقلي[3] مهمة قيادة الجيش الفاتح،[4] فلما رحل جوهر من القيروان إلى مصر بتاريخ يوم السبت (14 ربيع الثاني 358هـ- فيفري 969م) خرج الخليفة المعز لدين الله بتوديعه بنفسه.[5]

---

[1] حمودة عبد الحميد حسين، مرجع سابق، ص188.

[2] المعز لدين الله: هو الخليفة الفاطمي الرابع ينتسب إلى رسول الله (ص) عن طريق ابنته فاطمة الزهراء وإلى علي بن أبي طالب ابن عم الرسول (ص)، ولد بمدينة المهدية عاصمة الفاطميين في 11 رمضان 319هـ، اسمه الكامل هو المعز لدين الله أبو تميم سعد، ولي الخلافة سنة 341هـ.... (أنظر: حمودة عبد الحميد حسين، مرجع سابق، ص392).

[3] جوهر الصقلي: ولد في عام 300هـ، وهو رومي الأصل إلا أنه نشأ في مدينة صقلية نشأت إسلامية خالصة، ويرجع المؤرخون أن أباه كان مسلما. كان جوهر الصقلي ضمن حاشية المعز لدين الله العسكرية ويرجع ذلك لما رأى فيه الخليفة من الإخلاص للدين ولمواهبه الفذّة وثقافته الواسعة، حيث ظل يتدرّج في المناصب بدولة الخليفة حتى اتخذه المعز كاتبا له سنة 341هـ-953م، ثم رقاه إلى منصب الوزارة سنة 347هـ وولاّه قيادة جيش كبير لتوسيع ملك الخليفة المعز في شمال إفريقيا، حيث توغّل جوهر الصقلي حتى وصل إلى شاطئ المحيط الأطلسي، وبأعماله البطولية اكتسب احترام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حتى ولاّه على رأس الجيش لفتح مصر وهو متيقن من نجاحه في مهمته... (أنظر: خفّاجي محمد عبد المنعم، **الأزهر في ألف عام**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2، 1988، ج1، ص21).

[4] سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص331.

[5] حمودة عبد الحميد حسين، مرجع سابق، ص 407.

ولما وصل جوهر الصقلي إلى برقة بليبيا ومنها سار حتى الإسكندرية[1] إلى غاية أن دخل مصر في (17 شعبان سنة 358هـ)[2] بناءا على صلح عقد بين المصريين والفاطميين، وما جاء في وثيقة الصلح الرسمية أن جوهر: "يتعهّد بنشر العدل وبسط الحق، وحسم الظلم وقطع العدوان، ونفي الأذى ورفع الحزن، والقيام بالحق، وإعانة المظلوم، مع الصفقة والإحسان، وجميل النظر وكرم الصحبة، ولطف العشرة وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم"،[3] وقد وصل نبأ فتح مصر من طرف جوهر الصقلي إلى الخليفة المعز لدين الله حيث فرح فرحا شديدا، لأنه كان يدرك أهمية فتح مصر بالنسبة لنشر دعوته. وبعد أن دخل جوهر الصقلي إلى مصر هو وجيشه أخذ يدعم من مركز الفاطميين بها، تمهيدا لدخول الخليفة المعز لدين الله إليها، حيث أن هذا الأخير دخل إلى مصر في (7 رمضان سنة 362هـ، منتصف شهر جوان من عالم 973م).[4] وقد اتخذ الخليفة المعز من مدينة القاهرة[5] مقرا له ولجيشه وعاصمة للدولة الفاطمية بمصر، فسماها القاهرة المعزية ثم اختصر اختصر اسمها بعد ذلك وسمّاها القاهرة لتصبح رسميا عاصمة الخلافة الفاطمية.[6]

---

[1] فراج سمير، مرجع سابق، ص176.

[2] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص166.

[3] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص22.

[4] سعدون نصر، مرجع سابق، ص.ص 331-333.

[5] القاهرة: هي مدينة مصرية سميت بهذا الاسم إشارة إلى أن الخليفة المعز لدين الله لما أراد فتح مصر قال عبارة أنني سأبني بها مدينة تقهر الدنيا، كما يمكن أنها سميت بهذا الاسم باعتبار أن القائد الفاطمي جوهر الصقلي عندما شرع في تأسيس المدينة الجديدة استعان بالمنجمين ليختاروا له النجم الذي ساعته تكون في بداية وضع أساسها، حيث تصادف وجود النجم القاهر عندما شرع في بنائها فسميت بالقاهرة إشارة إلى النجم القاهر... (أنظر: عوف أحمد محمد، **الأزهر في ألف عام**، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة، 1970، ص25).

[6] فراج سمير، مرجع سابق، ص189.

كما شرع جوهر الصقلي ببناء قصر للخفيفة سمّاها بالقصر الشرقي الكبير، وبعد الانتهاء منه فكّر في بناء جامع بالمدينة الجديدة،[1] حيث كان الغرض من بنائه ليكون رمزا لعقيدتهم الإسلامية التي ينتمون إليها، وفي نفس الوقت مركزا لنشر عقائدهم وتعاليم دعوتهم.

ب- إنشاء جامع الأزهر:

بعد دخول الفاطميين مصر وتعزيز مركزهم بها شرع جوهر الصقلي في إنشاء جامع الأزهر وذلك بتاريخ (27 جمادى الأولى 359هـ - أفريل 970م)، لتستغرق مدة بنائه العامين، حيث انتهت أشغاله في (17 رمضان 361-22 جوان 972م).[2]

وهو يقع في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة على مقربة من القصر الشرقي الكبير الذي يعتبر مقر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.[3]

فقد كانت الغاية من إنشائه أن يكون رمزا للدولة الفاطمية بمصر، ومنبرا لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي[4] الذي يدينون به.

---

[1] سالم السيد عبد العزيز ، مرجع سابق، ص ص 169-171.

[2] الجمل شوقي عطا الله، **الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص11.

[3] نفسه.

[4] المذهب الشيعي الاسماعيلي: بعد موت الإمام جعفر بن محمد الصادق انقسمت الشيعة إلى فريقين، فرقة نسبت الإمامة من بعده إلى ابنه موسى الكاظم وهؤلاء هم الشيعة الإثني عشرية، وفرقة نفت عنه الإمامة وقالت أن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل والتي عرفت بالشيعة الإسماعيلية والتي ينتسب إليها الفاطميون من خلال مذهبهم الشيعي الإسماعيلي... (أنظر: الصلابي علي محمد، مرجع سابق، ص43).

وبعد الانتهاء من تشييده أقيمت به شعائر الصلاة لأول مرة وذلك في الجمعة التي تلت تاريخ بنائه،[1] احتفل خلالها الفاطميون به احتفالا رسميا كبيرا تيمّنا بما سيكون له من شأن عظيم يخدم دعوتهم، ويحسب لصالح أعمالهم في مصر والعالم الإسلامي.

ج- سبب تسميته بجامع الأزهر:

إن سبب تسمية جامع الأزهر بهذا الاسم لا تعرف حقيقتها بوجه التحديد حيث اجتمعت عدة آراء حول سبب تسميته بهذا الاسم هي كما يلي:

- سمي بجامع الأزهر نسبة إلى أن الفاطميين اقتبسوا كلمة الأزهر من كلمة الزهراء التي كانت تطلق على قصور الأمويين في بلاد الأندلس فسموا هم قصر خلافتهم بالزهراء وسمي الفاطميون كذلك قصر خلافتهم الزهراء وأطلقوا على جامعهم اسم الأزهر، كما سموا قصورهم بالقصور الزاهرة.[2]
- ويمكن أنه سمي بجامع الأزهر نسبة إلى أن الفاطميين إبان عهد الخليفة المعز لدين الله بنوا عدة جوامع أخرى بالقاهرة، فلو قيل جامع القاهرة يذهب المقصود إلى أي جامع آخر من جوامع القاهرة غير الأزهر فسمّوه بالأزهر لأنه يزهر عليهم جميعا ويكبرهم حجما ولكونه الجامع الرسمي للدولة الفاطمية.[3]
- كما يقال أنه سمي بجامع الأزهر، لأن القصور التي كانت تحيط به في مدينة القاهرة كانت زاهرة لكن بناؤه هو كان زاهرا وسطها.[4]

---

[1] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص182.

[2] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، **الأزهر وإفريقيا دراسة وثائقية**، الدار العالمية، (د.م.)، 2004، ص17.

[3] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص11.

[4] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص29.

- كما أن تسمية جامع الأزهر بهذا الاسم ترجع إلى الرأي الذي نسب سببها إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) ووالدة الإمامين الحسن والحسين ولدي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم[1] وهذا الرأي هو الأقرب إلى الأصح.

د- دور الأزهر والهدف من بنائه:

لقد كان جامع الأزهر هو الأول في العالم الإسلامي الذي لعب أدوارا دينية وتعليمية وثقافية ومثلها سياسية ومعمارية، جعلته يتبوّأ مركزا هاما في مختلف المراحل التي مرّ بها، حيث يبرز دوره الديني في كونه مكانا تؤدّى فيه مختلف العبادات من شعائر الصلاة وحفظ القرآن الكريم، كما كان المكان الذي تقام به مختلف الاحتفالات الدينية كرأس السنة الهجرية والمولد النبوي الشريف، أما دوره التعليمي فيتمثل في كونه يمثل المؤسسة التي تدرس بها أحكام اللغة العربية ومختلف العلوم الإسلامية الأخرى، كما يبرز دوره السياسي في مواقفه المشهودة في التصدي لظلم الحكام ومقدرته على تحريك الثورات الشعبية بقيادة شيوخه وعلمائه.[2]

كما لعب عدة أدوار ثقافية وفكرية من مناقشات ومداولات وإلقاء الخطب التعليمية الهامة، أما دوره المعماري فيتمثل في تلك التطورات المعمارية التي طرأت عليه عبر مختلف العصور،[3] وبذلك اكتسب شهرة كبيرة ومكانة جليلة في نفوس المسلمين من تقدير واحترام كبيرين.

---

[1] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص17.

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص27.

[3] المرجع نفسه، ص28.

كما كان الهدف من بناء جامع الأزهر ليكون مركزا لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي ويكون خاصا بالدعوة الفاطمية فقط.[1]

حيث كان بمثابة برلمان تعقد فيه الجلسات ليتدارس فيه أعيان مصر المشاكل التي كانت تواجههم فيبحثوها في أروقته.

فكان جوهر الصقلي يجتمع بالمسلمين فيه كل يوم جمعة ليحدثهم عن أمور الدين والدنيا، وكان يعلن فيه الأوامر الصادرة من الخليفة بخصوص رفع الضرائب ومختلف الأمور السياسية الأخرى التي تخص الدولة.[2]

وبالتالي كان الهدف من إنشاء جامع الأزهر عدة اتجاهات أبرزها دينية، فكان ملتقى الشيعة يتدارسون فيه أصول مذهبهم، ولهذا اتجه الحكام الفاطميون إلى الأزهر ليكون مركزا يتم من خلاله رسم سياسة دولتهم الجديدة بمعناها الديني والسياسي المحظ.

2- الأزهر منذ عهد الدولة الفاطمية إلى غاية الحكم العثماني لمصر:

أ. الأزهر في العهد الفاطمي:

كان الفاطميون يعنون بجامع الأزهر عناية فائقة لأنه يعتبر جامعهم ورمز لعهدهم القائم ومركزا لنشر تعاليم مذهبهم، ففي عهدهم أصبح الأزهر بصفة خاصة ومدينة القاهرة بصفة عامة مركزا للطائفة الإسماعيلية الشيعية ومركزا للدولة الفاطمية، كما أولى الخلفاء الفاطميون

[1] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص124.

[2] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص31.

جامع الأزهر اهتماما كبيرا، حيث شهد هذا الأخير تحديثات عدة في عهد الخليفة المعز لدين الله[1] وتكرر الشيء نفسه في عهد الخليفة العزيز بالله أبو منصور نزار.[2]

حيث تم توسيع جامع الأزهر في فترة حكمه، كما قام بترميم عدة أرجاء منه بشكل تحديثي، كما لم يتخلف الخليفة الحاكم بأمر الله أبو علي منصور[3] في الاهتمام بجامع الأزهر وذلك بإدخال العديد من التجديدات به، إبان عهده أو في عهد مختلف الخلفاء الفاطميون الذين أتوا من بعده[4] فهذا من شأنه أن يفسر الاهتمام البالغ بجامع الأزهر من طرف الخلفاء الفاطميون.

ولقد لعب هؤلاء الخلفاء دورا فعالا في نشاطهم داخل جامع الأزهر الذي أصبح قبلة كل طالب علم يأتي من مختلف بقاع الأرض بعد أن أصبحت له مكانة مرموقة لها وزنها في كل العالم الإسلامي.

وفي عهد الخليفة العزيز بالله من سنة 988م ألف أبو الفرج يعقوب بن كلس[5] أكبر وزراء الخليفة العزيز بالله كتابا عن الفقه الشيعي وقرأه في جامع الأزهر والذي سماه الرسالة العزيزية والذي اعتبر من أمهات كتب الفقه الشيعي، حيث عين الخليفة العزيز بالله لأبو الفرج حوالي خمسة وثلاثين فقيها للقراءة وإلقاء الدروس ورتبت لهم مرتبات شهرية ثابتة على

---

[1] سالم السيد عبد العزيز ، مرجع سابق، ص183.

[2] العزيز بالله أبو منصور نزار: هو ابن المعز لدين الله عاش في الفترة الممتدة من (365هـ إلى 386هـ، ومن 966م إلى 975م)... (أنظر: خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص25).

[3] الحاكم بأمر الله أبو علي منصور: هو خليفة فاطمي عاش في الفترة المحصورة ما بين(386هـ-411هـ، ومن 996م إلى 1021م)، إلا أنه مات مقتولا... (أنظر: نفسه).

[4] سليمان محمد، **دور الأزهر في السودان**،(د.ن.، د.م.)، 1985، ص 10.

[5] أبو الفرج يعقوب بن كلس: يقال أنه يهودي الأصل أظهر إسلامه واستطاع أن يشق طريقه متغلغلا في قصر المعز لدين الله حتى وثق به وعينه وزيرا له ثم أبقى عليه بعده الخليفة العزيز بالله... (أنظر: عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص65).

نفقة الخليفة الخاصة فاعتبرت تلك هي النواة الأولى للعناية بالوافدين على الأزهر، والذين ازداد عددهم العام بعد العام، فأصبح بالجامع الأزهر خيرة الفقهاء والعلماء الذين نقلوا إليه العديد من الكتب وشجعوا طلاب العلم من مختلف العالم الإسلامي للالتحاق به فأصبح الأزهر بذلك مركز الإشعاع الفكري وقبلة للدراسات العلمية والإسلامية في العالم الإسلامي.[1]

فكانت تلك هي أول مرة في تاريخ المعرفة والثقافة يوجد جامع في العالم الإسلامي كله تدرس به العلوم الدينية ومختلف العلوم الأخرى دراسة منهجية ويكون المدرسون به تابعين للدولة تكلفهم برعايتها الخالصة وتتولى الإنفاق عليهم وعلى الطلبة أنفسهم لتشجعهم على مواصلة الدراسة والتحصيل للمذهب الفاطمي، حيث كانت مناهج الدراسة به تتم على أربعة أنواع من الحلقات هي:

- حلقات دراسية موجهة لمختلف فئات المجتمع المصري تتم بحضور شيوخ الأزهر الذين يلقون دروسا حول تغيير القرآن الكريم ودراسة أحكامه.
- حلقات دراسية خاصة بالاستفسار عن مختلف الأمور الدينية، بحيث تكون تلك الحلقة مخصصة للطلبة فقط.
- حلقات خاصة بفئة معينة من المجتمع ألا وهي فئة المثقفين تناقش فيها مسائل عدة في الفقه والتفسير والحديث ويترأسها داعي الدعاة.[2]

---

[1] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص18.

[2] داعي الدعاة: يعتبر منصب داعي الدعاة من أرفع المناصب وأهمها في الدولة الفاطمية حيث تكمن مهمته في كونها مهمة توجيهية وإرشادية وثقافية، حيث كان داعي الدعاة يعتبر همزة وصل بين الخليفة الفاطمي وطبقة الشيعة الفاطميين وبالتالي كان هو المتصرف الفعلي والمسؤول على سير الدعوة الفاطمية وأخذ العهد على كل من ينطوي في كنفها... (أنظر: عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص67).

- حلقات خاصة بشريحة النساء من المجتمع فقط، وذلك لاكتسابهم عدة معلومات حول مسائل قد تكون مبهمة بالنسبة لدينهم، والتي من شأنها أن تثقفهم، وقد كان من أشهر شيوخ تلك الحلقات هو يعقوب بن كلس.[1]

فقد كانت مختلف تلك الحلقات الدراسية هي النواة الأساسية للغرس الحقيقي والتام للمذهب الشيعي الإسماعيلي الفاطمي في مختلف شرائح المجتمع المصري على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم.

وفي ظل الاهتمام البالغ الذي أحاط به مختلف الخلفاء الفاطميون جامع الأزهر سعوا إلى جعله المكان الأساسي لتدريس مذهبهم، وفعلا كانت بداية التدريس به في أواخر عهد الخليفة المعز لدين الله، حيث انعقدت أول حلقة دراسية به في شهر صفر من عام (365هـ-9785م) والتي قام بها قاضي القضاة[2] أبو الحسن علي بن النعمان بن محمد القيرواني،[3] الذي قرأ على الحاضرين أصول الفقه الشيعي، وبمرور الوقت تطورت الدراسة بجامع الأزهر والتي تجاوزت الجانب الديني ليصبح المقر الرسمي الذي يجتمع فيه القائمين على أمور الدولة لمناقشة مختلف القضايا السياسية.[4]

وقد كان أول ما درس بجامع الأزهر هو المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي يدين به الفاطميون ومختلف تعاليم الشيعة، بالإضافة إلى دراسة مختلف أحكام اللغة والمنطق، لتدرس به لاحقا علوم الحساب والهندسة والجبر والفلك أيضا.

---

[1] **عوف أحمد محمد**،مرجع سابق، ص65.

[2] قاضي القضاة: هو منصب رسمي في الدولة الفاطمية يأتي بعد منصب الخلافة مباشرة... (أنظر: عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص63).

[3] أبو الحسن علي بن النعمان محمد القيرواني: كان هو أول من لقب بلقب قاضي القضاة، كسب محبة وثقة الخليفة العزيز بالله... (أنظر: خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص36).

[4] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص17.

وذلك بقدوم كبار العلماء إليه الذين جلبهم الخليفة المعز، حيث تراوح عددهم حوالي ثلاثين عالما وفقيها.[1]

بني لهم الخليفة منازل فخمة ألحقت بالأزهر وصارت من أروقته حيث شرعوا يفقهون في المذهب الفاطمي وتعاليمه ويدعون إليه كل طالب علم يأتي للدراسة فيه.[2]

فقد حمل جامع الأزهر على عاتقه في هذه الفترة من حكم الفاطميين مهمة تخريج الدعاة، هو ما من شأنه أن يخدم دعوتهم وينشر تعاليم مذهبهم في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وبالتالي استمر جامع الأزهر بمثابة جامعة شيعية طوال فترة حكمهم.

ب- الأزهر خلال عهد الدولة الأيوبية:

استمر جامع الأزهر يدعوا إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى أن قامت الدولة الأيوبية بمصر[3] بقيادة صلاح الدين الأيوبي[4] الذي تولى مقاليد الحكم بها وذلك بعد القضاء نهائيا على الفاطميين سنة (567هـ-1171م)[5] حيث كان جل اهتمام صلاح الدين الأيوبي هو القضاء على المذهب الشيعي ونشر تعاليم المذهب السني الذي يدين به.[6]

---

[1] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص64.

[3] الدولة الأيوبية: قامت بمصر في الفترة المحصورة ما بين (567هـ-648م، ومن 1176م إلى 1350هـ)... (أنظر: خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص83).

[4] صلاح الدين الأيوبي: هو صلاح الدين يوسف ابن أيوب ابن شادي ابن مروان الملقب بالملك الناصر، ولد سنة 1137هـ بمدينة تكريت بالعراق، وتوفي في عام 1193هـ بدمشق، من أهم أعماله هو قضائه على دولة الفاطميين بمصر... (أنظر: سليمان محمد، مرجع سابق، ص10).

[5] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص13.

[6] الهاشمي عبد المنعم، مرجع سابق، ص25.

ومن أهم الأعمال التي قام بها هو إلغائه لخطبة الجمعة من جامع الأزهر ومحاربة دعاة المذهب الشيعي والسعي وراء إضعاف كيان الدولة الفاطمية بمصر، كما أمر بإبطال الآذان وأدخل عليه عدة تحديثات وذلك بالمناداة على حي على خير العمل،[1] وأمر أن يذكر في خطبة الجمعة أسماء الخلفاء الراشدين كما أثار قضية التشكيك في نسب الفاطميين.

كذلك حل مجالس الدعوة من القصر الشرقي الكبير وجامع الأزهر والتي كانت تدعوا للفاطميين، فقد كان هدفه من مختلف تلك الأعمال هو سعيه من أجل التقليل من أهمية جامع الأزهر نظرا لكونه المقر الرسمي والديني للدولة الفاطمية، بالإضافة إلى كل ذلك قام هذا الأخير بعزل كل قضاة الشيعة وتعيين بدلا منهم قضاة من المذهب الشافعي في كل أرجاء مصر، وبذلك وضع صلاح الدين الأيوبي مختلف الركائز الأساسية التي قامت عليها دولته بمصر.[2]

وبعد استقراره بها أسس عدة مدارس كانت غايته منها هو منافسة جامع الأزهر في رسالته الدينية والعلمية التي كان يؤديها، بالإضافة إلى سعيه في نشر تعاليم المذهب الشافعي.[3]

فكانت أول مدرسة قام بإنشائها هي المدرسة الناصرية، ثم أنشأت مدرسة أخرى لتعليم المذهب المالكي عرفت بالمدرسة القمحية نسبة إلى ضيعة القمح التي كان خيرها يوزع على طلابها من المتمدرسين بها.

---

[1] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص13.

[2] الهاشمي عبد المنعم، مرجع سابق، ص426.

[3] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص69.

وقد بلغ عدد المدارس بمصر في تلك الفترة حوالي ستة وعشرون مدرسة، لم يتبقى منها إلا المدرسة الكاملية، في حين تسمى أيضا بدار الحديث، والتي أنشأها الملك الكامل سنة 621هـ واستكملت عمارتها سنة 622هـ.[1]

بالإضافة إلى المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح سنة 639هـ، حيث كانت كل مدرسة من تلك المدارس تتخصص في دراسة معينة بغرض التقليل من أهمية جامع الأزهر وصرف الطلاب عن الدراسة فيه، وبالفعل نافسته تلك المدارس منافسة شديدة، إذ عانى خلال تلك الفترة جامع الأزهر نوعا من الركود العلمي،[2] وقد عانى مركز التدريس بجامع الأزهر أيضا حيث تعرضت مكتبته التي كانت مزودة بأغنى الكتب الدينية والمتخصصة في مختلف العلوم الأخرى إلى النهب بالإضافة إلى تدمير مخطوطات تعاليم الفاطمية.[3]

كما أوقف النظر في منهاج الدراسة بجامع الأزهر وألغيت مختلف الدروس الخاصة به، وبالتالي اعتماده على مختلف الإصلاحات التعليمية التي فرضها صلاح الدين الأيوبي به.[4]

ومن خلال عرض مختلف الأعمال التي قام بها صلاح الدين الأيوبي يتبين أن عهده تميز بتجاهل سياسي لجامع الأزهر كمدرسة دينية وعلمية لها مكانتها في مصر والعالم الإسلامي.

---

[1] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص20.

[2] الهاشمي عبد المنعم، مرجع سابق، ص427.

[3] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص84.

[4] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص20.

إلا أنه بالرغم من مختلف مظاهر اللامبالات التي اعتمدها صلاح الدين الأيوبي تجاه جامع الأزهر إلا أنه لم يتوانى عن الاعتماد على كيانه بمختلف المجهودات الذاتية التي انتهجها مختلف شيوخه وعلمائه، حيث تمكن من الإبقاء على مكانته الإسلامية الخالصة وسط مختلف التيارات المتباينة التي حاولت التأثير عليه.

فقد كان لتعدد مختلف مجالات الدراسة به واختلافها وتنوعها وسيلة لاستقطاب الطلاب من مختلف بقاع العالم الإسلامي له، حيث زاره العديد من الأساتذة الأجانب في تلك الفترة أبرزهم موسى بن ميمون طبيب صلاح الدين الأيوبي الذي درس به الطب والفلك.[1]

فالأزهر في تلك الفترة كان معتمدا الدراسات المختلفة على الرغم من أن الدولة لم توليه رعايتها واهتمامها إلا أنه ظل بمكانته الدينية والعلمية الخالصة.

ج- الأزهر إبان عهد المماليك:

وقد استمر وضع الأزهر كذلك إلى غاية قيام دولة المماليك البحرية[2] سنة (648هـ-250م)، والتي اتجهت إلى بعث وإحياء جامع الأزهر من جديد وذلك بفضل الرعاية العمرانية التي أولاها القائد الظاهر بيبرس اتجاه جامع الأزهر في الفترة الممتدة من (685هـ-1266م) إلى أن صار الأزهر من أرفع الجوامع قدرا وأهمية.[3]

حيث أمر هذا الأخير بإعادة خطبة الجمعة ومختلف الشعائر الدينية إليه والتي كانت قد تعطلت به قرابة مائة سنة، كما أمر الظاهر بيبرس بإعادة رواتب الطلاب والمعلمين التي

---

[1] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص71.

[2] الممالك البحرية: سمّوا كذلك نسبة إلى جزيرة الروضة المطلة على النيل والتي كانوا يسكنون فيها... (أنظر: عويس عبد الحليم، **أوراق ذابلة من حضارتها**، مؤسسة عبد الحكيم لعرابة، الجزائر، ط2، (د.ت.)، ص130).

[3] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص115

كانت قد منعت عنهم إبان عهد صلاح الدين الأيوبي، فضلا عن إعادة العمل في ترميم جامع الأزهر وتجديده، وفي عهد دولة المماليك البرجية[1] في الفترة الممتدة من (784هـ-923هـ، 1382م-1517م)، تزايدت العناية بجامع الأزهر، حيث وفد العديد من العلماء إليه في سبيل طلب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، وذلك راجع لما وجدوه فيه من الأمن والرعاية الخاصة التي يكفلهم بها جامع الأزهر، بالإضافة إلى كونه مركز لتحصيل شتى العلوم المختلفة،[2] حيث ارتقى إلى أن أصبح رائدا للدراسات الإسلامية والأدبية والعلمية حتى أصبحت له مكانته المرموقة في عصرهم.

كما اعتبر عصر دولة المماليك عصر النهضة الثانية للجامع الأزهر في أعقاب الحكم الأيوبي لمصر، حيث نهض الأزهر بمهمة تاريخية جليلة حينما استطاع أن يحتفظ بتراث الحضارة الإسلامية والعربية، بينما كانت بغداد تعاني من حرائق التتار لحضارتها وفي نفس الوقت الذي كان فيه المسلمون يقتلون في الأندلس وبدأ ينحصر حكمهم، فخويت معاهد العلم في بغداد كما ضربت منابع الثقافة العربية والإسلامية في الأندلس، ففي خضم تلك الأحداث التي عصفت بالحضارة الإسلامية في مختلف بقاع العالم الإسلامي، فتح جامع الأزهر الشريف أبوابه للعلماء والطلاب الذين نزحوا إليه من الشرق والغرب فرارا من الظلم والعبودية فأصبح الملاذ الحامي لهؤلاء العلماء والطلاب وبذلك أخذ يتبوأ مركز الزعامة الفكرية والثقافية في مصر بل والعالم الإسلامي، فأصبح مسرحا لنشاط العديد من العلماء.[3]

---

[1] المماليك البرجية: نسبة إلى أبراج القلعة التي كانوا يسكنون فيها بالقاهرة... (أنظر: خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص115).

[2] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص14.

[3] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص ص 71-72.

كما أنشأ المماليك العديد من المدارس كالجوهرية والطيبرية، حيث تولى علماء الأزهر مهمة التدريس به فجعلت منه هذه الفترة جامعة إسلامية عالمية تتفرع منه كل الثقافات الإسلامية المتنوعة.[1]

كما كانت تدرس في عهد المماليك بجامع الأزهر كتب في الأحاديث المعروفة للبخاري ومسلم وأبي داوود والترميذي والنسائي وابن ماجة،[2] حيث حقق الأزهر في عهدهم أهدافا هامة وسامية منها إحياء علوم الدين، وفي عهدهم غدت القاهرة بنفس مركز بغداد الثقافي وأصبحت أهم مركز للثقافة في العالم الإسلامي.

د- الأزهر خلال عصر الدولة العثمانية:

إبان عصر الدولة العثمانية منذ سنة (923هـ-1517م)، نجد أن العثمانيين رغم الفوضى التي خلفتها مختلف معاركهم للسيطرة على القاهرة إلى أنهم أظهروا احتراما كبيرا لجامع الأزهر ولم يقوموا بالتدخل في شؤونه ولم يجعلوا من اللغة التركية لغة الدراسة به.

هذا من جهة أما من جهة أخرى فإن العثمانيين عينوا رئيسا للمشايخ بالأزهر أطلقوا عليه اسم شيخ جامع الأزهر، فاعتبر رئيسا للعلماء الذين يدرسون به، وكان الشيخ محمد

---

[1] المرجع نفسه، ص73.

[2] إسماعيل عبد الجواد صابر، **دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996، ص11.

الخرشي[1] هو أول شيخ لجامع الأزهر واقتصرت مهمته في الإشراف على سير الدراسة بالجامع وتولي شؤون إدارته.[2]

كما لم يفرض العثمانيون على طلابه دراسة الحضارة التركية، وتمتع الأزهر في عهدهم بالاستقلال المالي عن الحكومة مما كان له أثرا في الحفاظ على مكانته الدينية والعلمية الخالصة.

ولقد كان للأوقاف التي أوقفها المتطوعون على الأزهر دور كبير في استمراره بتأدية رسالته النبيلة، حيث كانت تلك الأوقاف تدر عليه وعلى طلابه الخير الوفير مما جعلهم في حالة ميسورة فضلا عما كانت تقدمه لهم الدولة في تلك الفترة، مما انعكس عليه بالشيء الايجابي وذلك بحريته في اختيار علمائه الذين يقومون بالتدريس فيه.[3]

كما استعاد الأزهر في هذه الفترة مركزه بكونه مؤسسة يتم التعليم بها على خلاف المدارس التي أنشأت في عهد الدولة الأيوبية،[4] وبالتالي غدا الأزهر في تطور مستمر جعل منه المؤسسة الدينية والتعليمية الأولى من نوعها في العالم الإسلامي.

إلا أن هناك العديد من الكتاب والمؤلفين من عارضوا هذا الرأي، حيث أجمعوا على أن جامع الأزهر إبان العهد العثماني عرف بدايات بوادر الانحلال فيه والتي تفاقمت مع مرور الوقت طيلة فترة حكمهم لمصر، حيث توقفت حركة التحصيل العلمي به، كما اختفت من حلقاته الكثير من العلوم حتى أصبحت الدراسة به لا تتعدى العلوم الدينية فقط.

---

[1] محمد الخرشي: هو مالكي ولد عام (1010هـ-1601م)، ومات عام (1101هـ-1690م) وهو أول من تعين شيخا للأزهر ليقوم بصفة رسمية بالإشراف على شؤونه وإدارته وتصريف أموره، له عدة مؤلفات منها فتح الجليل، الشرح الكبير إلى غيره من المؤلفات... (أنظر: عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص110).

[2] نفسه.

[3] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص20.

[4] إسماعيل عبد الجواد صابر، مرجع سابق، ص ص 12-14.

فقد كان يهدف الولاة العثمانيون من وراء كل ذلك إلى عزل مصر عامة وجامع الأزهر خاصة عن التطور الحضاري بمختلف أوجهه، كما قاموا بتجريد مكتبة الأزهر التي كانت غنية بتحفة من الكتب الدينية والعلمية ذات القيمة المعنوية الكبيرة وتحويلها إلى القسنطينية.[1]

وفي عهد السلطان سليم الأول،[2] قام بترحيل العديد من علمائه وقادة الفكر فيه إلى تركيا، فمن خلال كل ذلك عانى جامع الأزهر كثيرا واضطربت أموره، حيث انهارت الحركة الفكرية فيه بشكل كبير وتضاءل دوره الحضاري الذي كان يلعبه في جميع الأصعدة[3] وقد قاموا بكل ذلك ربما من أجل إضعاف مكانة مصر ليجعلوا من تركيا قبلة للعالم الإسلامي وبالتالي يسهل عليهم حكم المسلمين كافة.

3- كفاح الأزهر في عهد المماليك:

أ- من موقف الشيخ الحفني إلى ثورة سنة 1697م:

لقد كان الأزهر هو ملاذ الشعب الوحيد الذي يلجأ إليه ليخلصهم من ظلم الحكام المماليك واستبدادهم به، حيث كان يلجأ إليه كلما اشتد عليه طغيانهم، وبدورهم علماء الأزهر حملوا على عاتقهم مهمة رفع المظالم على الشعب المصري واسترداد حقوقهم، تلك المهمة التي برزت بشكل ايجابي كبير أثناء القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ميلادي.

---

[1] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص 115-116.

[2] سليم الأول: ولد سنة 885هـ بأمسيا، كان مشهورا في شبابه بالشجاعة وحب الحرب تولىّ العرش وعمره يناهز 46 سنة ودامت مدة حكمه تسعة سنوات، توفي في شهر شوال من سنة 926هـ... (أنظر إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية**، مؤسسة المختار، (د.م.)، 2004، ص ص 117-123).

[3] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص 117-118.

فكان شيوخ الأزهر يمثلون الطبقة الواعية والمثقفة من المجتمع، تكسب نفوذا كبيرا له تأثيره حتى على الحكام أنفسهم الذين كانوا في عديد المرات يرجعون عن ظلمهم ويعلنون عن توبتهم أمامهم وذلك بمجرد إعلان غضبهم عليهم.[1]

فقد كان شيوخ الأزهر يسهرون على نشر العدل ويسعون إلى تكريس مبادئه في ايطار معاملات الحكام مع أفراد الشعب المصري، معتمدين في ذلك على ما يتماشى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، وهو ما أكسبهم الحفاظ على مركزهم الديني والاجتماعي بمصر رغم مختلف الأزمات السياسية الخطيرة التي مرت بها البلاد في تلك الفترة، حيث تعددت الثورات التي شارك فيها شيوخ الأزهر لرفع الظلم عن الشعب.

- **الشيخ الحفني يمنع إرسال حملة حربية إلى الصعيد:**

لقد كان الشيخ الحفني[2] يكسب نفوذا واحتراما كبيرين لدى الشعب المصري، حيث كان يعقد عدة مجالس في جامع الأزهر يلقي فيها دروسا حول معاني العدل وكيفية نشرها بين مختلف أفراد الشعب، كما كان يقوم خلال إلقاء دروسه بنقد الحكام الظالمين دون مبالاة منه لرأيهم فيه أو اتخاذ موقف منه، خصوصا وأنه كان معاصرا لعلي بك الكبير.[3]

---

[1] كشك محمد جلال، **ودخلت الخيل الأزهر**، **الزهراء للإعلام العربي**، القاهرة، ط3، 990، ص38.

[2] الشيخ الحفني: يعتبر شيخا جليلا من شيوخ الأزهر الشريف، ولد سنة 1100هـ بقرية حفنا التابعة لمركز بليس في محافظة الشرقية حيث نسب إليها وسمي بالحنفي... (أنظر: الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ج3، ص ص 278-279).

[3] علي بك الكبير: حكم من 1768 إلى 1773، اشتهر بقوته وطالب بالانفصال عن الدولة العثمانية من خلال عزله للولاة العثمانيين، غير أن مملوكه أبو الذهب انقلب عليه ما أدّى تنحيه من منصبه سنة 1773... (أنظر: الجبرتي عبد الرحمان، **المختار في تاريخ الجبرتي**، اختيار البقلي محمد قنديل، دار الشعب، الإسكندرية، ط2، 1993، ص ص 87-92).

فلم يكن يتردد أثناء مناقشاته في ديوان الحكومة والذي كان عضوا فيه أن يهدد الحكام في العديد من المسائل التي يرى فيها إهدارا لحقوق الشعب ومساسا لكرامته، حيث حدث أن عارض في إحدى المرات قضية إرسال حملة حربية إلى الصعيد بغرض إخضاع بعض الأمراء المماليك الخارجيين عن الطاعة بالمنطقة، فقد تميز موقفه من ذلك بالرفض القاطع لأنه كان يرى في الحملة خطرا على سكان المنطقة، حيث قال: "والله لن نسمح أن يسافر أحد وإن سافرت الحملة فلن يحدث خيرا أبدا".[1]

فبمعارضته تلك تردد أعضاء الديوان في قضية إرسال الحملة إلى الصعيد بعد اللهجة الشديدة التي خاطبهم بها متوعدا إياهم بالعواقب الوخيمة إذا ما نفذوا أمرهم.

- **ثورة عام 1695م:**

والتي قام بها أفراد الشعب المصري من الفقراء حيث أنه في تلك السنة وقعت أزمة مجاعة حادة بمصر أهلكت الطبقة الكادحة منه أدت بها إلى الثورة على الأوضاع المزرية التي أصابتها من جراء ارتفاع الأسعار في الأسواق والتي أدت إلى موت الكثيرين منهم من شدة الجوع، حيث نزح أهل القرى إلى القاهرة حتى امتلأت بهم شوارعها، فأخذوا يأكلون الجيف ويخطفون الخبز من الأسواق، مما أدى بشيوخ الأزهر لحل الأزمة معبرين بغضبهم عن طريق عزل الوالي[2] "علي باشا خازندار" وتعيين وال آخر مكانه والذي قضي على

---

[1] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ج2، ص111.

[2] الوالي: يسمى الوالي أو الباشا وهو ممثل السلطان العثماني بمصر وصاحب السلطة العليا بها... (أنظر: كشك محمد جلال، مرجع سابق، ص38).

ارتفاع الأسعار في الأسواق كما أمن للفقراء ما يكفيهم من الخبز والطعام وأعادهم إلى قراهم حتى هدأت الثورة والتي كان لشيوخ الأزهر دور مهم في إخمادها.[1]

- **ثورة عام 1697م:**

في تلك السنة قام الشعب المصري مرة أخرى بثورة كانت بدايتها في شهر أفريل، وذلك عندما ذهب "ياسف اليهودي"[2] إلى اسطنبول، فلما سئل هناك من طرف حكومة الباب العالي عن أحوال مصر وإذا من الممكن الزيادة في الضرائب المفروضة على شعبها فأجابه ياسف اليهودي أنه بإمكان الحكومة من رفع قيمة الضرائب، فكتب له الباب العالي الفرمانات والأوامر السلطانية المتعلقة بذلك، وعندما عاد إلى مصر قرئت في الديوان ووافق الوالي العثماني بمصر على تنفيذها، فأمر هذا الأخير من رجاله بنشر تلك القرارات على الناس في الشوارع والذين لم يتقبلوا ذلك القرار حيث أن غالبية الشعب المصري كان يعيش حياة اجتماعية متدهورة للغاية،[3] وبالتالي لم يجد سبيلا في التخلص من تلك الزيادات المتعلقة بالضرائب التي أثقلت كاهله غير التوجه إلى شيوخ الأزهر الذين طالما كانت كلمتهم وأوامرهم لها صداها من طرف الحكام، حيث استجاب شيوخ الأزهر لطلبهم فذهبوا إلى القلعة وقابلوا الباشا الذي أجابهم بما لا يرضيهم، لكن شيوخ الأزهر اتخذوا موقفهم من الباشا وطالبوه بتسليمهم ياسف اليهودي والذي رضخ لأمرهم بعد إصرار منهم، فقاموا بسجنه، لكن في تلك الأثناء ثار الجند على الباشا وطالبوه بياسف اليهودي الذي امتنع عن ذلك، لكنهم استطاعوا أن يخرجوه من السجن وقاموا بقتله انتقاما منه على ما سبق وقام به وبذلك تخلص

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1922**، دار المعرفة الجامعية، (د.م.)، 2002، ص ص 118-119.

[2] ياسف اليهودي: هو ملتزم دار صك النقود بمصر... (أنظر: نفسه).

[3] نفسه.

منه الشعب المصري ومن شروره، بفضل الموقف العنيد الذي اتخذه شيوخ الأزهر ضده والذين لم يستسلموا لقرارات الوالي العثماني الصادرة من الباب العالي.[1]

ب- كفاح الأزهر من سنة 1735م إلى غاية سنة 1795م:

ففي ذلك العام أرسل السلطان العثماني إلى مصر أمرا خاصا متعلقا ببعض الشؤون المالية المتعلقة بإبطال مرتبات الأولاد، وأن المال يقبض إلى الديوان ويصرف منه وإلى غير ذلك من مختلف الإجراءات، حيث اجتمع أعضاء الديوان لتلقي ذلك الأمر الصادر من طرف السلطان العثماني، فلما قرئ المرسوم السلطاني قال القاضي العثماني: "أمر السلطان لا يخالف ويجب طاعته"،[2] إلا أنه أثناء الاجتماع كان شيخ الأزهر "سليمان المنصوري"،[3] حاضرا باعتباره أحد أعضاء الديوان والذي عارض قرار السلطان العثماني قائلا: "يا شيخ الإسلام هذه المرتبات كانت من فعل نائب السلطان وفعل النائب كفعل السلطان، وهذا الشيء جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين وتداوله الناس على خيرات ومساجد وأسبلة ولا يجوز إبطال ذلك، وإذا بطل بطلت الخيرات وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطله، وإن أمر ولي الله بإبطاله لا يسلم له ويخالف أمره، لأن ذلك مخالفة للشرع ولا يسلم للإمام في فعل يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا".

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص120.

[2] كشك محمد جلال، مرجع سابق، ص84.

[3] سليمان المنصوري: ولد في عام 1087هـ-1677م، كان من أحد علماء جامع الأزهر وهو سليمان بن مصطفى بن عمر المنصوري الحنفي بإحدى قرى المنصورة، حفظ القرآن في سن مبكرة، ثم انتقل للدراسة في جامع الأزهر تدرّج في المناصب حتى أصبح يتولى مشيخة المذهب الحنفي بمصر... (أنظر: يانج جورج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، ترجمة شكري علي أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1997، ص36).

حيث كان موقف الشيخ المنصوري ذلك سببا في تراجع الحكومة عن تنفيذ قرارها، هذا وإن دل فإنما يدل على حكمة ويقظة شيوخ الأزهر وتنبههم إلى المحافظة على تعاليم الشريعة وحقوق الشعب العامة.[1]

- **ثورة عام 1786م:**

والتي قامت بالقاهرة عندما قام "حسين بك" مع عدد من جنوده بنهب بيت أحمد سالم الجزار "بمنطقة الحسينية"، مما أثار غضب سكان القاهرة الذين توجهوا إلى جامع الأزهر يشكون أمرهم إلى "الشيخ الدردير"[2]، حيث شجعهم على القيام بالثورة.

ويروي الجبرتي ذلك قائلا: "ساعدهم بالكلام وقال لهم أنا معكم، فخرجوا من نواحي الجامع وقفلوا أبوابه وصعد منهم طائفة على أعلى المنارات يصيحون ويضربون الطبول وانتشروا بالأسواق وأغلقوا الحوانيت، وقال لهم الشيخ الدردير في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة، وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم".[3]

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص ص 122-123.

[2] الشيخ الدردير: هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد حامد العدوي المالكي الشهير بالدردير، ولد سنة 1127هـ بمنطقة بني عدي الواقعة بمدينة أسيوط، أين أمضى وفي شبابه توجه إلى جامع الأزهر وحفظ القرآن الكريم به، حيث أخذ الكثير من عند شيوخه، خاصة الشيخ الحفني وعلي الصعيدي، كما تدرج في المناصب إلى أن أصبح من أشهر المتصوفين في عصره ومفتيا كبيرا... (أنظر: يانج جورج، مرجع سابق، ص34).

[3] الجبرتي عبد الرحمان، مصدر سابق، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، مصدر سابق، ج2، ص103.

فلما وصل صدى تلك الثورة "إلى إبراهيم بك"[1] رضخ لمطالبهم لأنه يعلم قدرة شيوخ الأزهر على قيادة الثورات، حيث أرسل الوالي نائبه يسترضي المصريين عامة وشيوخ الأزهر خاصة واعدا إياهم بإقلاع الأمراء المماليك عن ظلم الأهالي.[2]

*** ثورة عام 1795م:**

في هذا العام أسرف محمد بك الألفي[3] في فرض ضرائب باهظة على سكان إحدى القرى القريبة من منطقة بلبيس عاصمة مديرية الشرقية، وكان للشيخ عبد الله الشرقاوي[4] حصة في أرض تلك القرية والذي استغاث به أهلها، فعزم هذا الأخير على القيام بحركة شعبية كبيرة ضد الطغاة المماليك، وفي اليوم الثاني من الثورة أخذت جموع الشعب تتجه من كل حدب وصوب بعدما أغلقوا المحلات والأسواق وتوجهوا بقيادة الشيخ الشرقاوي والعديد من المشايخ والعلماء إلى منزل الشيخ "محمد السادات"[5] القريب من بيت "إبراهيم بك" والذي لما علم بأمر الثورة أرسل مندوبه "أيوب بك" الدفتر دار إلى المشايخ ليفاوضهم والذين قالوا

---

[1] إبراهيم بك، دخل إلى مصر سنة 1778م حيث أصبح قائم مقام إلى جانب مراد بك، وقد عرف بظلم الناس والتحايل على التجار الأجانب... (أنظر: المرجع نفسه، ص47).

[2] عمر عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص124.

[3] محمد بك الألفي: جلبه بعض التجار إلى مصر سنة 1189هـ فاشتراه أحمد جاويش وأقام عنده عدة شهور لكن تصرفاته لم تعجبه، فأهداه إلى مراد بك مقابل ألف أردب من الغلال لذلك سمي بالألفي... (أنظر: أبو الفضل محمد عبد الفتاح، **الصحوة الإسلامية في عهد محمد علي**، المجلس الأعلى للثقافة، (د.م.)، 1999، ص193).

[4] الشيخ عبد الله الشرقاوي: هو شافعي ولد سنة 1150هـ وكان من أعلم أهل عصره، تولىّ مشيخة جامع الأزهر عام 1208هـ إلى غاية عام 1227هـ ويعتبر هو أول من خرج بمشيخة الأزهر من عزلتها إلى تحدي الحاكم وأصبح لهذه المهمة دور سياسي هام... (أنظر: يانج جورج، مرجع سابق، ص 36، الملحق رقم 02 ، ص111).

[5] الشيخ محمد السادات: هو من أكبر الشيوخ وأعظمهم وأعزهم منزلة بين الناس، كان يتميز بأخلاقه الكريمة ونسبه الشريف الذي ينحدر من سلالة الرسول(ص)، رفض عضوية ديوان القاهرة الذي أنشأة بونابرت بالمدينة... (أنظر: المرجع نفسه، ص121).

له: "نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمسكوكات التي ابتدعتموها وأحدثتموها فأجابهم "أيوب بك" الدفتر دار قائلا: "لا يمكن الإجابة لهذا كله، فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات"،[1] حيث رد عليه المشايخ: "إن ذلك ليس بعذر عند الله ولا عند الناس وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك، والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ".[2]

ورفعوا إلى الوالي العثماني عدة قرارات هي:

1- عدم فرض أي ضريبة على أفراد الشعب المصري إلا بعد إقرارها من المشايخ بالجامع الأزهر الذين يعدون نوابا عن الشعب.
2- احترام الحكام لحكم المحاكم الأهلية.
3- لكل فرد حريته وحقوقه التي لا تمس إلا في حدود القانون.

والتي وافق عليها كلها الوالي العثماني، وحررت بعد ذلك وثيقة ختم عليها كل من إبراهيم بك و مراد بك[3] وسميت تلك الوثيقة بالوثيقة السياسية أو وثيقة منزل إبراهيم بك.

وبعدها هتف أفراد الشعب المصري تحية منهم لشيوخ الأزهر واعترافا منهم بمجهوداتهم بعد انتصارهم على الأمراء المماليك في تلك الثورة.[4]

---

[1] كشك محمد جلال، مرجع سابق، ص85.

[2] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص93.

[3] مراد بك: هو مملوك محمد أبو الذهب، تولىّ حكم مصر بعد وفاة أبي الذهب تميز عهده بتمرّده على الدولة العثمانية... (أنظر الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج2، مصدر سابق، ص22).

[4] كشك محمد جلال، مرجع سابق، ص86.

فمن خلال ما تم عرضه من مختلف الثورات والتي ساهم فيها شيوخ الأزهر قصد نشر العدل والمحافظة على حقوق الشعب المصري يتضح أنهم كانوا الملاذ الآمن الذي يحتمون به حيث عرفوا كيف يسيطروا على مختلف تمردات الأمراء المماليك التي لولاهم لوقعت البلاد في دوامة من فوضى النهب والسلب وتسلط الحاكم على المحكوم.

وبعدما تم عرضه في محتويات هذا الفصل يتبين أن جامع الأزهر الشريف منذ إنشائه في عهد الدولة الفاطمية كان مدرسة للتمكن من مختلف أحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية، وقبلة لكل طالب علم يأتي إليه من مشارق الأرض ومغاربها للتزود والإطلاع على مخالف العلوم، متحديا بذلك أحلك الفترات التي مر بها عبر التاريخ، معبرا عن أصالة رسالته التي وجد من أجلها، كما كان له دور بارز ومهم من خلال كفاحه لجور وظلم الحكام المماليك للشعب المصري الذي لطالما كان هو الملاذ الآمن الذي يلجأ إليه كلما دعت الظروف إلى ذلك.

- **فكيف كمان موقفه من الاحتلال الفرنسي لمصر؟**

الفصل الثاني:

موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر

- **الحملة الفرنسية على مصر**
- **موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الأولى**
- **موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الثانية**

لقد كان مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر بمثابة صدمة عنيفة تعرض إليها الشعب المصري ألحقت به أهوالا كبيرة، وبالتالي أضافت إليه متاعب أخرى إلى جانب تلك التي تعرضوا إليها من جراء ظلم وتعسف المماليك بهم، حيث ثار الشعب المصري عليها رافضا بذلك حكم الفرنسيين لبلادهم، وفي خضم كل تلك الأوضاع برز دور شيوخ الأزهر وعلمائه في التصدي للحملة، لأنهم كانوا يمثلون الفئة الواعية والمثقفة من الشعب المصري، والذي لطالما لجأ إليهم للفصل في مختلف نزاعاته، حيث كان يكن له مختلف مشاعر التقدير والاحترام، فتقديرا لذلك ولإعلائهم كلمة الحق فوق الجميع ثار جامع الأزهر بقيادة شيوخه وعلمائه على الفرنسيين شرّ ثورة توقّعوها منهم معبّرين بذلك عن موقفهم السلبي من الحملة الفرنسية على مصر.

1- الحملة الفرنسية على مصر:

أ. أسباب الحملة الفرنسية على مصر:

لقد تعرضت مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى حملة استعمارية فرنسية خطيرة كانت الأولى من نوعها على بلد عربي تابع لحكم الدولة العثمانية كما اجتمعت عدة أسباب ودوافع أدت إلى تطلع فرنسا للقيام بهذه الحملة والتي تتلخص فيما يلي:

- تدهور الأوضاع السياسية[1] بمصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[1] نتيجة السياسة التعسفية التي فرضها الأمراء المماليك على الشعب المصري[2] وهو ما انعكس

[1] نوار عبد العزيز سليمان، **تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت.)، ص69.

سلبا على اقتصاد البلاد من زراعة وصناعة وتجارة[3] بعد تلك الضرائب الفادحة التي لحقت بمختلف فئات الشعب المصري والتي جعلتهم يعيشون أزمة اقتصادية يرثى لها[4] حيث صاحبه ذلك تدهور كبير في أوضاع الحياة الاجتماعية للشعب المصري[5] وذلك من خلال تفش الأوبئة الفتاكة مثل الطاعون الذي وجد الفرصة المناسبة للفتك بالناس.[6]

- الموقع الجغرافي لمصر حيث أنها تقع في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط الذي يعد همزة وصل بينها وبين قارة أوروبا، ويحدها من الجنوب السودان، ومن الغرب ليبيا، ومن الشرق البحر الأحمر.[7]

حيث مكنها موقعها الجغرافي هذا في أن تكون ملاذا للتغلغل الأوروبي فيها، لاسيما القوى الفرنسية والبريطانية منها بصفة خاصة، اللتان كان التنافس على أشدة بينهما حول المنطقة والذي ازداد إبان القرن الثامن عشر، حيث كانت كلاهما ترى في مصر منطقة نفوذ وسوقا مناسبة لاستثمار أموالها هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت كلتا الدولتان ترغب في الربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، فانجلترا كانت ترغب في فتح طريق

---

[1] مصطفى أحمد عبد الرحيم، **تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة**، مطبعة الجبلاوي، (د.م.)، 1972، ص12.

[2] نوار عبد العزيز سليمان، **النهضة العربية الحديثة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م.)، ص14.

[3] صبّاغ ليلى، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1982، ص205.

[4] عرابية عبد الكريم محمود، **تاريخ العرب الحديث**، دار الأهلية، بيروت، 1984، ص45.

[5] ضيفي عبد النعيم عثمان، **تاريخ مصر من العصر الفرعوني حتى العصر الحديث**، دار الرشاد، القاهرة، 2008، ص118.

[6] نوار عبد العزيز سليمان، **تاريخ مصر الاجتماعي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988، ص ص 164-166.

[7] سوادي هاشم هشام، **تاريخ العرب الحديث 1516-1918م**، دار الفكر، (د.م.)، 2010، ص114.

البحر الأحمر حتى السويس،[1] لسفنهم القادمة من الهند والمحيط الهندي، أما الفرنسيون فكانوا يودون الاستيلاء على تجارة الشرق وحرمان الانجليز منها، حيث احتدم الصراع بينهما،[2] لكن فرنسا كانت هي صاحبة القرار الأخير في المنطقة وذلك بالتوجه إليها بواسطة حملة عسكرية من أجل الاستيلاء عليها وتنفيذ مخططاتها فيها.

- رغبة نابليون بونابرت[3] في تكوين مستمرة شرقية تكون بدايتها من مصر إلى كامل البلاد العربية.
- توسع طموحات نابليون بونابرت ورغبته في تحويل التجارة العالمية إلى مصر وذلك عن طريق شق قناة تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر.[4]
- رغبة نابليون في قطع طريق الهند على بريطانيا عن طريق مصر وذلك بحصوله على قاعدة تمكنه من الاستحواذ على المستعمرات الإنجليزية في الهند والسيطرة على أقصر طريق بين الشرق والغرب حيث كانت هذه نية بونابرت الحقيقية اتجاه حملته العسكرية على مصر.[5]

---

[1] قناة السويس: كان سنسورت الثالث من الأسرة 12 الفرعونية هو أول من فكر في ربط البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر عن طريق النيل سنة 1847 ق.م، بدأ حفرها في أفريل 1859م، افتتحها سنة 1869م... (أنظر: طه جاد، **معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دار الفكر العربي، (د.م)، ص147).

[2] هريدي صلاح أحمد، **تاريخ مصر الحديث**، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، 2009، ص226.

[3] نابليون بونابرت: ولد عام 1769م بمدينة أجاكسيو الفرنسية، إلتحق في شبابه بمدرسة بريان العسكرية، ثم واصل دراسته بمدرسة سان سير العسكرية وتخرج منها سنة 1785م، ثم عين ملازم في سلاح المدفعية للجيش الفرنسي، وبعد قيام الثورة الفرنسية انظم إليها وقضى على أعمال الشغب فيها كان صاحب الحملة على إيطاليا سنة 1796م وعلى مصر سنة 1798 ليعود إلى فرنسا ويعين امبراطورا فيها ما بين 1804-1815، توفي سنة 1821م... (أنظر: نمير طه ياسين، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر، عمان، 2010، ص65، الملحق رقم 03، ص112).

[4] نوار عبد العزيز، **تاريخ العرب المعاصر، مصر والعراق**، مرجع سابق، ص75.

[5] الزيدي مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، دار أسامة، الأردن، 2006، ص172.

- أما فيما يخص الذريعة التي إدعتها فرنسا مبررة بذلك سبب احتلالها لمصر وإعطائه صفة الشرعية هو تأديب المماليك الذين تحايلوا على التجار الفرنسيين وألحقوا بهم مختلف أنواع الظلم والاستبداد، خاصة في عهد كل من إبراهيم بك ومراد بك من خلال فرض ضرائب باهظة على مختلف بضائعهم.[1]

ب- تطور الحملة الفرنسية في مصر:

فباجتماع مختلف الأسباب التي تم التطرق إليها قررت حكومة الإدارة بفرنسا غزو مصر، وأسندت مهمة قيادتها إلى نابليون بونابرت، لكنها تكتمت عن مشروعها، حتى أنه لم يعرف أحد بوجهتها غير نابليون ورؤساء حكومة الإدارة وعدد قليل ممن يشغلون مناصب مهمة في حكومة الإدارة لا يتجاوز عددهم الأربعين شخصا.[2]

وتضليلا لبريطانيا قامت حكومة الإدارة الفرنسية بتسمية الجيش الذي أعدته للحملة الجناح الأيسر لجيش انجلترا، لتوهم بريطانيا بأن الحملة متوجهة إلى أراضيها.

وفي وسط تلك السرية التامة غادرت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت في 19 ماي 1798 م[3] من ميناء طولون[4] تحمل حوالي أربعين ألف جندي من خيرة عساكر فرنسا،

---

[1] ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكات، الرياض، 1997، ص186.

[2] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت، 1990، ص99.

[3] ياغي إسماعيل أحمد، **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مكتبة العبيكات، الرياض، ط2، 2003، ص234.

[4] طولون: هي مدينة فرنسية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتعتبر قاعدة بحرية هامة في فرنسا... (أنظر: دوداي سهام، حملاوي سليمة، **التنافس الفرنسي الإنجليزي على مصر 1798-1898م**، مذكرة ماستر تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، جامعة خميس مليانة، إشراف الأستاذة وهيبة قطوش،السنة الجامعية، 2012-2013، ص46 التهميش رقم 02).

وبعد حوالي عشرون يوما وصلت الحملة الفرنسية إلى جزيرة مالطة،[1] وذلك في 9 جوان 1798م،[2] حيث استولت عليها، وذلك بحجة أن رئيس الرهبان بها وهو حاكمها متفق مع قيصر روسيا على مخالفة الثورة الفرنسية،[3] ومنع السفن الفرنسية من دخول ميناء الجزيرة، حيث قام الفرنسيون بإطلاق سراح المسلمين المعتقلين وأخذوهم معهم كمترجمين للحملة،[4] وبعدها واصلت الحملة سيرها باتجاه الإسكندرية حيث وصلت إليها في الأول من جويلية 1798م،[5] لكنها لقيت مقاومة عنيفة من طرف سكانها الذين أظهروا شجاعة كبيرة في الدفاع عن مدينتهم، وذلك بقيادة السيد محمد كريم حاكم المدينة، لكن في الأخير استسلمت المدينة وتمكن الفرنسيون من اقتحام أسوارها والإستيلاء عليها، في حين أبقى نابليون على محمد كريم حاكما على المدينة بعدما سلم لهم المدينة، لكنه أعدم بعد ذلك بحجة التحريض ضد الفرنسيين.[6]

---

[1] مالطة: هي جزيرة تقع في قلب البحر الأبيض المتوسط وهي جزيرة سياحية بالدرجة الأولى... أنظر: الزيدي مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة،الأردن 2006ص182.

[2] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص99.

[3] الثورة الفرنسية: اندلعت في 14 جويلية 1789م بفرنسا ضدّ النظام الملكي المطلق، شهدت السنة الأولى منها الهجوم على سجن الباستيل وصدور إعلان حقوق الإنسان، وبعد ذلك تم إعلان نظام الملكية وإعلان الجمهورية، سنة 1792م، وتم إعدام الملك لويس السادس عشر سنة 1793، انتهت سنة 1799... (أنظر: سوادي هاشم هشام، مرجع سابق، ص117).

[4] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص99.

[5] بكر محمد إبراهيم، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مركز الراية، (د.م.)، 2006، ص306.

[6] عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ المشرق العربي 1516-1922م**، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت.) ص234.

وبعد إخضاع المدينة ترك بها نابليون عددا من الجنود قوامهم حوالي ثمانية آلاف جندي بقيادة الجنرال Kléber "كيلبر"[1] متوجها هو نحوى مدينة القاهرة، ولكنه في الطريق إليها اشتبك مع "مراد بك" الذي كان على رأس جيش مكون من حوالي عشرون ألف جندي في معركة "شبراخيت"[2] وذلك في 13 جويلية 1798م والتي لم تدم طويلا إذ سرعان ما تفوقت المدفعية الفرنسية على فرسان المماليك، وبعدها واصل بونابرت سيره باتجاه القاهرة أين تقابل مرة أخرى مع المماليك في موقعة الأهرام بتاريخ 21 جويلية 1798م ولكن هذه المرة باشتراك كل من "إبراهيم بك" و "مراد بك"، حيث سرعان ما انهزموا في المعركة وفرّ كل من "إبراهيم بك" إلى الشام و "مراد بك" إلى الصعيد، وبعدها تمكن نابليون من دخول القاهرة وقام بتعيين الجنرال "ديبوي" dupuy حاكما عليها،[3] وبعدها حاول نابليون جاهدا إيجاد جو من التعايش السلمي بين الفرنسيين والمصريين، حيث أعلن عن احترامه للدين الإسلامي وذلك باشتراكه في مختلف الاحتفالات الدينية كالمولد النبوي الشريف،[4] لكن مختلف تلك الحيل التي لجأ إليها لم تخفى على المصريين الذين لم يقبلوا الحكم الفرنسي لبلادهم بأي شكل من الأشكال.

وبينما كان بونابرت منهمكا في تدعيم مركزه بمصر وقعت حادثة مهمة ألا وهي موقعة أبي قير البحرية، في 01 أوت 1798،[5] وذلك بعد تعقب الأمير نيلسون « Nelson »[1]

---

[1] كليبر: هو من مواليد عام 1753، درس فن العمارة والهندسة الحربية، انظم بعد ذلك إلى الحرس الوطني الفرنسي سنة 1789، ويعتبر من قادة الحملة الفرنسية على مصر، بحيث كان قائد الفرقة الأولى بها قبل تعيينه حاكما على الإسكندرية... (أنظر: هريدي صلاح أحمد، مرجع سابق، ص139.

[2] ياغي إسماعيل أحمد، شاكر محمود، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، مكتبة العبيكات، الرياض، 2006، ج2، ص18).

[3] قدورة زاهية، **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت.)، ص330.

[4] عبد العزيز محمد عادل، **انهيار الخلافة العثمانية وتوابعه**، دار غريب، القاهرة، 2007، ص10.

[5] بيات فاضل، **الدولة العثمانية في المجال العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص424.

للحملة الفرنسية حيث وصل إلى السواحل المصرية وهاجم الأسطول الفرنسي الذي كان بخليج أبي قير حيث لم يقم هذا الأخير باستعدادات للمواجهة لأنه لم يكن يتوقع قدوم الأسطول البريطاني، حيث اشتبك الأسطول البريطاني مع الأسطول الفرنسي في معركة أدّت إلى تكبد البحرية الفرنسية خسائر كبيرة انعكست بشكل سلبي وخطير على مسار الحملة الفرنسية بمصر،[2] حيث افتقدت هذه الأخيرة إمكانية إحيائها مرة أخرى ضمن نشاطها الايجابي، كما فقدت الحملة الفرنسية بمصر كل أمل في الاتصال بفرنسا بعد الحصار البحري الشديد الذي فرضه الأسطول البريطاني على الشواطئ المصرية.[3]

فبعد الكارثة التي خلفتها موقعة أبي قير البحرية مباشرة قامت ثورة القاهرة الأولى والتي كانت هي أحد أسبابها، بالإضافة إلى تشجع الدولة العثمانية على مهاجمة الحملة الفرنسية بمصر، حيث أعلن السلطان سليم الثالث،[4] الحرب على فرنسا، وفي نفس السنة بتاريخ 25 ديسمبر 1798م تم عقد معاهدة بين روسيا والدولة العثمانية ضد فرنسا،[5] كما عقدت معاهدة ثانية في 5 جانفي 1799م بين بريطانيا والدولة العثمانية ضد فرنسا أيضا، وبالتالي قيام تحالف دولي ضد فرنسا من أجل إخراج الحملة الفرنسية من مصر.[6]

---

[1] نلسون: هو هوراشيوانلس ولد في أكتوبر سنة 1758م، شغل منصب نائب أميرال إنجليزي، ويعد أحد أبرز القادة العسكريين، توفي سنة 1805... (أنظر: هنري لورنس، **الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام**، ترجمة: بشير السباعي، دار الجيل، بيروت، 1995، ص182).

[2] أنظر الملحق رقم 04، ص113.

[3] طهبوب فائق، حمدان محمد سعيد، **تاريخ العالم الحديث والمعاصر**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008، ص49.

[4] سليم الثالث: ولد سنة 1175هـ، أولي سلطانا على الدولة العثمانية في 1203هـ-1788م وعمره 28 سنة، دامت مدة سلطته 19سنة، كان مستيقظا نبيها فاستبشر الناس بتوليته التحالف أثناء الحملة الفرنسية على مصر... (أنظر: إبراهيم بك حليم، مصدر سابق، ص ص 223-230).

[5] عبد العزيز محمد عادل، مرجع سابق، ص11.

[6] بكر محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص309.

إلا أن هذا التحالف الدولي لم يكن من شأنه الحفاظ على مصالح مصر، وإنما كان يخدم مصالح كلتا الدولتان بالدرجة الأولى، وذلك بسعي كلاهما لإيجاد سبل في الإبقاء على حظوظهما بالمنطقة.

وفي خضم تلك الأحداث تيقن نابليون بأن مصير الحملة الفرنسية أصبح عرضة لعدة أخطار داخلية وخارجية، فصمم على احتواء ذلك المأزق عن طريق غزوه للشام، حيث خرج متجها إليها في فيفري 1799م على رأس جيش قوامه ثلاثة عشر ألف جندي،[1] واستولى في طريقه إليها على كل من مدينة العريش وغزة و يافا حتى وصل إلى مدينة عكا إلا أنه فشل في الاستيلاء عليها بسبب مقاومة حاكمها أحمد باشا الجزار[2] وتصدي الأسطول البريطاني بقيادة "سيدني سميث" للحملة، بالإضافة إلى تفشي مرض الطاعون وسط الجنود الفرنسيين مما جعل بونابرت يتراجع عن حصار عكا بعد أن دام قرابة الشهرين.[3]

حيث وصل إلى القاهرة في 14 جويلية 1799م أين اشتبك مع قوة عثمانية كانت قد أتت إلى مصر لمحاربته، وذلك في موقعة أبي قير البرية بتاريخ 24 جويلية 1799م، حيث تمكن من القضاء عليها وأسر قائدها "مصطفى باشا"،[4] وعدد من الأسرى، لكن وفي تلك الفترة وقعت بيد بونابرت بعض الصحف عن طريق سكرتير سيدني سميث Sydney Smith عندما قدم إليه للتفاوض حول مسألة تبادل الأسرى، والتي تحدثت عن سوء أحوال فرنسا، فتقديرا لذلك شرع يعمل من أجل مغادرة مصر بكل سرعة، وقام بتعيين الجنرال كليبر قائدا

---

[1] زكار سهيل، **تاريخ بلاد الشام في القرن 19**، دراسات التكوين، دمشق، 2006، ص104.

[2] أحمد باشا الجزار: كان عاملا عند علي بك الكبير في القاهرة، حيث استغل جلادا في قصره إلى أن ترقى وأصبح برتبة الباكوية، وبعدها انتقل إلى الشام وعين محافظا لعكا سنة 1776... (أنظر: المرجع نفسه، ص102).

[3] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص116.

[4] مصطفى باشا: هو صدر أعظم عثماني، عين قائدا للقوات العثمانية في موقعة أبي قير البرية... أنظر: هنري لورنس، مرجع سابق، ص209.

للحملة بعده، كما أطلعه عن نيته في عقد صلح مع الدولة العثمانية وأمره بتنفيذه إذا لم تصله النجدات من فرنسا، وبعدها غادر مصر بتاريخ 22 أوت 1799م دون رجعة،[1] تاركا الحملة في أسوء حال يمكن تصورها فيه، فرغم المحاولات التي قام بها كليبر من أجل بث حظوظ الحملة في مصر من جديد إلا أنه بتسارع الأحداث وذلك باستمرار التحالف الدولي ضد فرنسا جعلته يقرر الدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية والتي ترجمت بعقد معاهدة العريش[2] في 24 جانفي 1800م،[3] والتي قضت على أن يتم خروج الحملة من مصر بكامل عدّتها وعتادها في مدة ثلاثة أشهر، إلا أن الحكومة البريطانية نقضت شروط المعاهدة وذلك بعدم موافقتها على خروج الفرنسيين إلا كأسرى حرب،[4] لكن في غضون ذلك كان الفرنسيون قد باشروا عمليات الانسحاب من مختلف مواقعهم، في حين كان العثمانيون قد استردوها مباشرة، هذا الوضع الذي أدى إلى اشتباك العثمانيين والفرنسيين في موقعة عين شمس بتاريخ 20 مارس 1800م،[5] التي انهزم فيها العثمانيون، وفي تلك الأثناء قامت ثورة القاهرة الثانية[6] لتجعل كليبر يتيقن أن أوضاع الحملة بمصر أصبح محكوما عليها بالفشل، لكن الأقدار لم تكتب له أن يشهد جلاء الحملة من مصر إذ قتل قبل ذلك لتعود قيادة الحملة في مصر من بعده إلى الجنرال مينو" Menou " الذي كان قليل الخبرة العسكرية وهذا ما أثر على تحكمه في سير أمور الحملة بمصر، الشيء الذي جعله يستسلم أمام الجيش

---

[1] طهبوب فائق، مرجع سابق، ص50.

[2] معاهدة العريش:عقدت في 24 جانفي 1800م بين الفرنسيين والعثمانيين، فيها تعهد الفرنسيون بالجلاد عن مصر بكامل عدتهم وعتادهم على السفن الفرنسية والعثمانية... (أنظر: دوداي سهام، حملاوي سليمة، مرجع سابق، ص48، التهميش رقم 3).

[3] Bertrand, **guerre d`orient campagnes d`Egypte et de surie 1798 - 1799**, Bibliotchec monacensis, paris, 1847, P 314,

[4] قدورة زاهية، مرجع سابق، ص336.

[5] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص127.

[6] ياغي إسماعيل أحمد، **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص237.

الإنجليزي، الذي كان قد باشر في قتال الفرنسيين بعد تأكده من ضعف القوات العثمانية،[1] حيث تحدد مصير الفرنسيين بمصر في "معركة كانوب" والتي دارت أحداثها بتاريخ 21 مارس 1801م كانت نتيجتها انهزام الجيش الفرنسي وتقهقره،[2] وهو ما اضطر الجنرال مينو إلى توقيع اتفاقية في 27 جوان 1801م والتي نصّت على جلاء الفرنسيين من مصر بكل أسلحتهم وعتادهم في مدة لا تتجاوز الشهرين،[3] حيث تم جلاءهم نهائيا عن مصر في 18 أكتوبر 1801م.[4]

وهكذا انقضت سنوات الحملة الفرنسية بمصر بعدما صعبت المهمة أمامها وعجزت عن تحقيق أهدافها بها.

فعلى الرغم من أنها كانت حادثة قصيرة المدة إلا أنها كانت مشحونة بمجموعة من النتائج أهمها:

- **نتائج عسكرية:**

ما يحسب لصالح الفرنسيين من هذا الجانب سوى قضائهم على سطوة المماليك وكسر شوكتهم، أما فيما عدا ذلك فقد فشلت الحملة في تحقيق أهدافها حيث لم تستطع أن تتصل بالمستعمرات الانجليزية في الشرق، كما لم تستطع الحملة قطع الطريق بين إنجلترا ومستعمراتها في الشرق وذلك بسبب تفوق البحرية الانجليزية بعد تدمير الأسطول الفرنسي

---

[1] الزيدي مفيد، **المبسط في تاريخ العرب الحديث 1517-1916م**، دار المناهج، (د.م.)، 2004، ص79.

[2] سوادي هاشم هشام، مرجع سابق، ص125.

[3] الزيدي مفيد، **المبسط في تاريخ العرب الحديث 1517-1916م**، مرجع سابق، ص ص 79-80.

[4] الزيدي مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مرجع سابق، ص179.

في موقعة أبي قير البحرية، واستمرار تفوقها ما أثر سلبا على مسار الحملة الفرنسية بمصر.[1]

- **نتائج سياسية:**

فتحت الحملة الفرنسية أبواب مصر أمام التنافس الأوروبي الاستعماري عليها.

فقدان مصر لاستقرارها السياسي عقب جلاء الفرنسيين عنها نتيجة التنازع على السلطة بين عدة أطراف.[2]

- **نتائج علمية:**

لقد كان الجانب العلمي هو أهم الجوانب التي أثرت فيه الحملة بشكل إيجابي كبير عاد على مصر والمصريين بالفوائد الجمة، حيث رافق الحملة الفرنسية العديد من العلماء في شتى مجالات العلم والمعرفة وكانت نتيجة مجهوداتهم هو إنشائهم للمجمع العلمي الذي اهتم بنشر أنماط المدينة الأوروبية الحديثة في المجتمع المصري، وتطوير الدراسات التي تخص تاريخ مصر وطبيعة أرضها، وأهم أثر لهذا المجمع هو كتاب وصف مصر الذي درس وصف مصر منذ قيام الحضارة الفرعونية إلى خروج الحملة الفرنسية من مصر.[3]

- رسم أول خريطة صحيحة للقطر المصري.

---

[1] عمر عمر عبد العزيز ، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص136.

[2] عمر عمر عبد العزيز، وآخرون، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، (د.ت.)، 2006، ص231.

[3] برج محمد عبد الرحمن، **التاريخ العربي الحديث والمعاصر**، دار التعليم الجامعي، (د.م.)، 2010، ص ص 37-38.

- فك رموز حجر رشيد واكتشاف أسرار اللغة الهيروغليفية القديمة.[1]
- **نتائج ثقافية:**

بعد جلاء الفرنسيين من مصر بدأت تبرز مظاهر الفكر الغربي داخل المجتمع المصري، حيث تعرف المصريون على أفكار الثورة الفرنسية من حرية ومساواة، كما اقتبسوا العديد من النظم التي طورت من مستواهم الثقافي بالتدريج، كما أنشأوا أول مطبعتين بالقاهرة الأولى باللغة العربية والثانية باللغة الفرنسية، والتي تعتبر الأولى من نوعها في الوطن العربي.[2]

- **نتائج اجتماعية:**

في هذا المجال خلفت الحملة عدة آثار سيئة غريبة عن المجتمع المصري المتدين من انحلال أخلاقي إلا أنها من ناحية أخرى خلصته من مختلف مظاهر الحياة البدائية التي كان يعيشها.[3]

فهناك من يرى أن الحملة الفرنسية كان لها أثر إيجابي على مصر من خلال أساليب الحداثة التي جلبتها إليها من آلات طباعة وغيرها مما طوّر حياة المجتمع المصري، حيث كانت سببا في النهضة المصرية، أما البعض الآخر فيراها مثل كل الحملات العسكرية مما صاحبها من قتل وتدمير وتخريب، إلا أنها كانت بوجهين أحدهما ايجابي والآخر سلبي.

2-موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الأولى:

أ- سياسة نابليون بونابرت اتجاه شيوخ الأزهر:

[1] سوادي هاشم هشام، مرجع سابق، ص177.

[2] نمير طه ياسين، مرجع سابق، ص62.

[3] نمير طه ياسين، مرجع سابق، ص65.

بعد نزول الحملة الفرنسية أرض مصر أدرك نابليون بونابرت أنه مقبل على تجربة جديدة من نوعها في حكم بلد إسلامي شرقي له عاداته وتقاليده الخاصة به تختلف اختلافا جذريا عن العادات الغربية لدى الشعوب الأوروبية، لذلك وجه بونابرت أنظاره صوب جامع الأزهر ومشايخه وعلمائه لأنه كان هو مركز الدراسات الإسلامية العربية في مصر، ويتبوأ مكانا عليا في العالم الإسلامي.[1]

كما أنه كان على علم بأن مشايخه هم زعماء الشعب المصري الذين يخلصونهم من مظالم الحكام واستبدادهم بهم، حيث وصفهم بأنهم أكثر عناصر المجتمع المصري نفوذا وهيبة وعلما واحتراما واستقرارا، فتقرب إليهم وأعطى كبارهم من المشايخ المزيد من النفوذ وقدرا من السلطة، وذلك من خلال اختيارهم أعضاء في ديوان القاهرة الذي ألفه بونابرت عقب استيلائه عليها، حيث تألف من عشرة شيوخ من الأزهر الشريف هم: عبد الله الشرقاوي، خليل البكري،[2] مصطفى الصاوي،[3] سليمان الفيومي، محمد المهدي الكبير،[4]

---

[1] عبد العزيز محمد عادل، مرجع سابق، ص10.

[2] الشيخ خليل البكري: هو من سلالة أبي بكر الصديق، تولى نقابة الأشراف بمصر وكان وافر الحرمة مقبول الشفاعة عند الفرنسيين... (أنظر: جورج يانج، مرجع سابق، ص36. الملحق رقم01، ص110).

[3] الشيخ مصطفى الصاوي: تلقى الدروس في جامع الأزهر على يد الشيخ البراوي إلى غاية أن تخرج، حيث أصبح يدرس بالجامع، كما كان شاعرا أو كاتبا مجيدا، توفي سنة 1216هـ... (أنظر: خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص168).

[4] الشيخ محمد المهدي الكبير: ولد قبطيا فسماه والده هبة الله، ولما كان أبوه كاتبا في بيت سليمان كاشف، فلما ترعرع هبة الله أعجب به الكاشف وأراد جعله من مماليكه ولم تكن نزعته عسكرية فأدخله الأزهر، وهنا اعتنق الإسلام وسمي محمد المهدي، وكان ذكيا إذ ترقى حتى صار من كبار العلماء... (أنظر: يانج جورج، مرجع سابق، ص36).

موسى السرسي، مصطفى الدمنهوري، أحمد العريشي، يوسف الشبراخيشي، محمد الدواخلي، ثم أختير عبد الله الشرقاوي[1] رئيسا له.

حيث تتلخص مهمة الديوان في جعله بمثابة الوساطة بين شعب مصر ونابليون، وذلك رغبة منه في إضفاء الطابع الإسلامي على حكومته وذلك بممارسة شيوخ الأزهر نفوذهم في أمور السلطة ومقاليد الحكم تحت إشراف من الفرنسيين ومراقبة منهم.[2]

كما اتخذهم بونابرت كأداة يوضحون له المسائل التي يستعصي عليه فهمها من ناحية، ويشرحون للشعب المصري حقيقة المشاريع التي يريد تنفيذها ونواياه الطيبة اتجاههم، هذا كله بضغط منه على مشايخ الأزهر محاولة منه لكسب ود وعطف الشعب المصري عليه، حتى يخلدون إلى السكينة وعدم المقاومة.[3]

فهذا يدل على أن سياسة نابليون اتجاه الأزهر هي محاولة منه لاحتوائه، وليكون وسيلة في يده يستخدمه ليضمن ولاء الشعب المصري له، حيث أن أهم ما في هذه المؤسسة الدينية هم شيوخه، فهل كان نابليون صادقا في نيته نحو علماء الأزهر وشيوخه؟ وهل استسلم الأزهر لنابليون؟

ب- أسباب قيام ثورة القاهرة الأولى:

لقد اجتمعت عدة عوامل شجعت سكان القاهرة للقيام بالثورة هي ما يلي:

---

[1] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص151، الملحق رقم 01، ص 110.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، **صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر أواخر القرن الثامن عشر**، مطبعة دار الكتب، (د.م.)، 1971، ص5.

[3] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص133.

- تحطيم الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية فتسربت أنباء تلك الكارثة إلى القاهرة على الرغم من حرص الفرنسيين الشديد على تكتم أخبارها.
- فرض الأسطول الانجليزي حصاره على السواحل المصرية حيث أصبحت الحملة محصورة في مصر من المستحيل أن تصلها النجدات من فرنسا مما شجع الفرنسيين على التحمس للثروة.[1]
- انتشار الانحلال الأخلاقي في القاهرة من عادات دخيلة على المجتمع المصري المحافظ مما أثار سخط سكان القاهرة.[2]
- تدخل السلطات الفرنسية في مسائل اعتبرها المصريون مسائل شخصية، حيث اتخذ الفرنسيون تدابير صحية وقائية لمنع انتشار مرض الطاعون وغيره من الأوبئة، فأمروا سكانها بأن ينشروا ثيابهم وأمتعتهم وفرشهم على سطوح المنازل وتعريضها للشمس والهواء طول النهار ويوميا.[3]

بالإضافة إلى إرغامهم على تبخير البيوت وغيرها من الإجراءات التي شددت بصفة خاصة في مدينة القاهرة نظرا لارتفاع كثافة السكان بها نسبيا على سائر المدن المصرية الأخرى، كما عاقبت السلطات الفرنسية المتخلفين عن الأوامر وهو ما عزز تذمر وسخط سكان القاهرة عن تلك الأوضاع.[4]

---

[1] الشناوي عبد العزيز محمد، **صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر أواخر القرن الثامن عشر**، مطبعة دار الكتب، (د.م.)، 1971، ص75.

[2] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج3، مصدر سابق، ص161.

[3] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص86.

[4] سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، (د.م.)، 1997، ص306.

- إعدام السيد محمد كريم حاكم مدينة الإسكندرية رميا بالرصاص في 06 سبتمبر 1798م، وبعدها أقدم الفرنسيون على قطع رأسه وطافوا به في شوارع المدينة، مما أثار حفيظة سكان القاهرة الذين يعتبرونه رجلا من الأشراف ويعطونه قدرا من الاحترام.[1]
- إسراف نابليون في فرض القروض الإجبارية على سكان القاهرة من تجار وصناع وحرفيين والذين طالبوا بتخفيض قيمتها إلا أنهم لم يلقوا استجابة لطلبهم، و كان من تخلف على دفعها تصادر ممتلكاته مما أثار غضبهم.[2]
- إقرار نظام التشريعات المالية الجديدة من طرف نابليون والقاضية بفرض ضرائب جديدة على الشركات والعقارات وعلى السفر من مكان إلى آخر، وعلى تسجيل المواعيد وعقود الملكية، مما جعل سكان القاهرة يتخبطون في أزمة اقتصادية يرثى لها.[3]
- فلقد ساعدت مختلف تلك الأسباب على تأجيج نفوس سكان القاهرة ضد الفرنسيين إلى أن قامت الثورة.

ج- قيام ثورة القاهرة الأولى:

لكن وبالرغم من كل تلك الامتيازات ومظاهر التقدير والاحترام التي أحاط بها نابليون مشايخ وعلماء الأزهر، إلا أنهم لم يفتنوا بملذات الدنيا وشهواتها، فأخذوا على عاتقهم مهمة تأليب الرأي العام للشعب المصري محرضا إياه ضد المحتل الغاصب، لأنهم كانوا يرفضون حكم أجنبي كافر عليهم، وبذلك اتخذوا من جامع الأزهر بؤرة تحريك الثورات الشعبية ضد الفرنسيين.

---

[1] المرجع نفسه، ص306.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص97.

[3] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص98.

حيث قام مشايخ الأزهر بتأسيس مجلس الثورة ليتولى مهمة تنظيم الثوار وتوزيع العمل الثوري عليهم وإخراج الأسلحة، فلم يترك أي مسألة من المسائل التي تساعد على نجاح الثورة إلا ناقشها ونظمها.[1]

وكوضع للمسات الأخيرة اجتمع مجلس الثورة في 20 أكتوبر 1798م بداخل جامع الأزهر حوالي ثلاثون من أعضاء مجلس الثورة، إلا أن هذا الاجتماع لم يثر شكوك الفرنسيين لأنه يتم في المسجد أين تقام شعائر الصلاة بانتظام واستقر رأي أغلبيته على انطلاق الثورة صبيحة يوم الأحد 21 أكتوبر 1798م، ويكون أول مظهر من مظاهر انطلاقها هو إغلاق المحلات باختلافها، وتوجه المصريين بمختلف شرائحهم إلى جامع الأزهر في الوقت المحدد لانطلاق الثورة من أجل تنظيم مسيرة شعبية تتجه إلى القيادة العامة للجيش الفرنسي المتواجدة بالقاهرة بحجة التذمر من فرض النظام الضريبي الجديد، و تكون تلك المسيرة كمقدمة لإحداث الشغب والإخلال بالأمن داخل القاهرة، مما يساعد على تهيئة الجو المناسب على إشعال فتيل الثورة.[2]

وبهذه الحجة انطلقت الشرارة الأولى للثورة الشعبية العارمة التي كانت سوابقها الدينية قد تأججت في نفوس سكان القاهرة ضد الحكم الفرنسي.

فعلى الرغم من أن الفرنسيين كانوا يتوقعون نشوب ثورة في القاهرة إلا أنهم جهلوا قيامها ذلك اليوم بالضبط، وهذا خير دليل على حكمة أعضاء مجلس الثورة لأنهم عرفوا كيف يخفون التخطيط للثورة، وبذلك فوتوا على السلطات الفرنسية مهمة ضرب الثورة في مهدها

---

[1] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج3، مصدر سابق، ص28.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص100.

واعتقال زعمائها من أول الأمر، وهكذا نجحوا في تجنيب الثورة عوامل الفشل الأولى التي كان قد يكون لها الأثر العميق في نفوسي المصريين من بعد.[1]

إذن وكما خطط أعضاء مجلس الثورة، وفي الصباح الباكر من يوم 21 أكتوبر 1798م انطلق شيوخ الأزهر وعلمائه وطلابه بزعامة الشيخ محمد السادات في مختلف شوارع القاهرة يتنادون إلى الثورة ويلهبون مشاعر المصريين بخطبهم الحماسية التي حثت على ضرورة الجهاد ضد الفرنسيين المحتلين الكفار، ويطالبون منهم في نفس الوقت التجمع في رحاب جامع الأزهر، أين صعد المؤذنون إلى مآذن المساجد يدعون المسلمون إلى المشاركة في الثورة، كما وقفت النساء على سطوح المنازل تطلقن بأعلى أصواتهن صيحات مدوية تعبيرا منهن عن مشاعر الغضب اتجاه الفرنسيين، وهذا وإن دل فإنه يدل على تكاتف مختلف فئات الشعب المصري الذين عزموا على إخراج الفرنسيين من على أرضهم.[2]

وبعد ذلك أصبحت المنطقة القريبة من جامع الأزهر تعج بالثوار حيث وصل عددهم إلى خمسة عشر ألف ثائر يحملون الأسلحة من بنادق وسيوف ورماح وغيرها، حيث يصف الجنرال ريبوا هذه الحادثة بقوله: "اختلطت الأصوات، وعلت الصيحات، فكان هذا المنظر يبعث الرهبة في نفوس أشجع الأفراد، ولم يعد هناك شك أن الثورة قد بدأت، فإن الذين اجتمعوا في الجامع الأزهر، وفي ساحته بلغ عددهم خمسة عشرة ألف شخص، فاض بهم الحماس، فأقسموا الإيمان على إحراز النصر أو الاستشهاد في سبيل الله".[3]

حيث اتجه هؤلاء الثوار إلى بيت قاضي القضاة العثماني "إبراهيم أدهم أنفدي"، فدخل بعض الثوار إلى بيته وطلبوا منه أن يرافقهم إلى مقر القيادة العامة للجيش الفرنسي من أجل

---

[1] الترك نقولا، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**، تحقيق سويد ياسين، دار الفرابي، لبنان، 1990، ص58.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص101.

[3] المرجع نفسه، ص112.

مقابلة نابليون بونابرت، وإظهار غضبه بخصوص النظام المالي الجديد الذي فرضه على الشعب المصري، فوافق هذا الأخير مبدئيا لكنه عندما خرج من بيته وشاهد حشود الثوار المتجمهرة أمام بيته أدرك أن المسألة ليست مجرد ما أفهموه عليها، وإنما هي أعمق من ذلك بكثير، فهي ثورة عامة، ورأى أنه بمجرد ذهابه مع الثوار فينضم إليهم ويصبح طابع الثورة رسمي بمشاركته فيها، وبالتالي يكسبها ذلك مزيدا من الأهمية، لأنه يحتل منصبا رسميا هاما فأبى الذهاب معهم، حيث غضب منه الثوار غضبا شديدا وإنها لوا عليه ضربا انتقاما منه لتصرفه.[1]

وفي هذه الأثناء علم الجنرال ديبوي بما يجري، حيث اتجه إلى بيت القاضي، لكن نظرا لضيق شوارع القاهرة سهلت المهمة على الثوار للإحاطة به، فقاموا بقطع الطريق عليه وإنها لوا عليه هو وفرسانه بالرمي بالحجارة، فاحتدمت المعركة بين الطرفين إلى أن تمكن أحد الثوار من إصابة ديبوي بطعنة والتي أدت إلى مقتله.[2]

وبعد أن انتشر خبر مصرع الجنرال ديبوي بسرعة كبيرة زادت حماسة الثوار وسهل أمامهم كل صعب، فقرروا الاتجاه إلى بيت الجنرال "كافاريلي"، حيث كان المصريون يمقتون هذا الرجل مقتا شديدا لأنه كان وراء هدم العديد من المساجد والمقابر وانتزاع أبواب الحارات المصرية مما أجّج مشاعر الغضب من طرف المصريين عامة وشيوخ الأزهر وطلابه خاصة ضدّه، فاقتحموا بيته لكنه لم يكن موجودا به لأنه كان قد رافق بونابرت ذلك اليوم إلى مدينة الجيزة ، فكان غيابه سببا في نجاته من موت محقق،[3] وبدلا منه قام الثوار بقتل حوالي ستة أشخاص من العلماء الذين رافقوا الحملة، وقاموا بتعليق رؤوسهم على باب جامع الأزهر، كما

---

[1] بكر محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص308.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص115.

[3] المرجع نفسه، ص115.

قام الثوار بتحطيم مختلف الأجهزة العلمية التي عثروا عليها في بيته وبذلك كانت خسارة كبيرة نزلت بمسيرة الحملة الفرنسية من الناحية العلمية.[1]

فبعد أن وجد الفرنسيون أنفسهم محاصرين من طرف المصريين أرسل الجنرال "جونو" « Junot » رسولا إلى بونابرت يخبره عن أحوال القاهرة التي أصبحت تعج بالثوار، فعاد مسرعا إليها، لكنه سرعان ما أدرك بونابرت أن القضية هي قضية ثورة شعبية ضدّه تريد أن تزيل حكمه لمصر، كما علم أن جامع الأزهر هو مقر الثورة وأن الثوار أقاموا الحواجز في مختلف الطرق المؤدية إليه.

فأصبح بذلك متعذرا على الجنود الفرنسيين اقتحام الأزهر سواءا مشاة أو فرسانا فأسرع بونابرت إلى اتخاذ مختلف الإجراءات السريعة للتصدي للثورة، حيث عين الجنرال بون" Bon " حاكما عسكريا لمدينة القاهرة خلفا للجنرال المقتول ديبوي، وأصدر أمرا إلى الجنرال دومارتا قائد سلاح المدفعية بتعزيز مدفعية قلعة الجبل.[2]

د- استهداف جامع الأزهر وإعدام علمائه:

بعد أن عمت الثورة كامل القاهرة واستمد الأهالي المصريين من شيوخ الأزهر الدافع الديني الذي حرك انتمائهم العقائدي للدين الإسلامي فقاوموا الفرنسيين بشجاعة كبيرة أحرزوا خلالها انتصارات عديدة زعزعت من مركز الفرنسيين بالقاهرة، مما حرك رجال المخابرات العسكرية الفرنسية حيث أرسلوا إلى الجنيرال بون تقريرا مفاده أن جامع الأزهر هو مركز

---

[1] ياغي إسماعيل أحمد، **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص236.

[2] قلعة الجبل: هي قلعة حربية لعبت دورا هاما أثناء فترة الاحتلال الفرنسي لمصر حيث كانت مكان تقع فيه مختلف المعارك بين الفرنسيين والمصريين الذي بناها هو صلاح الدين الأيوبي بغرض اتخاذها مكانا يلجأ إليه نسبة 572هـ... (أنظر: الكاتب سيف الدين، **أطلس تاريخ العرب والعالم**، دار الشرق العربي، بيروت، ط2، 2008، ص67).

زعماء الثورة وأنه يضم في رحابه خمسة عشر ألف ثائر موجودون بداخله وفي ساحته الخارجية وبالأماكن المجاورة له.[1]

فقام هذا الأخير بإرسال تقرير حربي إلى بونابارت جاء فيه:

"إن مركز الثورة لا يزال في حي العرب، حيث يوجد أكبر جامع وهو الأزهر، فقد أقام الثوار متاريس صغيرة في جميع الشوارع المؤدية إليه وهذه الشوارع ليست مضاءة على الإطلاق، وقد تعرضت دورياتنا لطلقات الرصاص برهة، والمعتقد أن هذه الحشود التي تتخذ من هذا الحي مكانا للتجمع، لن تتفرق غدا في الصباح وأرى في هذه الحالة أن تأمروا باتخاذ إجراءات عنيفة جدا".[2]

فقد عزّز هذا التقرير الحربي شكوك نابليون حول الأزهر فاتخذ إجراءات عنيفة محاولة منه للقضاء عليه وعلى الثورة العارمة المرابطة به.

فأمر بتنصيب المدافع في المواقع التي تتسلط على جامع الأزهر، وفي اليوم الثاني للثورة في 22 أكتوبر 1798م نقل رجال المخابرات العسكرية إلى بونابرت أن المصريين يفدون إلى القاهرة من المناطق المجاورة له بأعداد هائلة لتدعيم الثوار بها،[3] حيث وجه قواته إلى حدود المدينة ونجحوا في صدّ حشود كبيرة منهم، فاستطاع بونابرت حصر الثورة في القاهرة، ومع ذلك استطاع الثوار قتل شخصية عسكرية كبيرة وهو الكولونيل "سلكووسكي"

---

[1] قدورة زاهية، مرجع سابق، ص331.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص121.

[3] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص135.

« Sulkowski »[1] ياور بونابرت" الذي كان في محاولة منه لمنع الأهالي من الوصول إلى القاهرة، حيث حزن عليه بونابرت حزنا شديدا.

وفي خضم هذه الأحداث أوكل بونابرت إلى شيوخ الأزهر من أعضاء الديوان مهمة بذل وساطتهم بينه وبين الثوار لوقف القتال، لكنهم فشلوا في ذلك فأدرك بونابرت أنه لا بديل له سوى استخدام أقصى وسائل العنف لسحق الثوار، حيث استمرّ القتال بين الطرفين وبشجاعة كبيرة من الثوار،[2] لكن مع مرور الوقت أخذت كفة الفرنسيين ترجح لأنهم كانوا يمثلون جيشا نظاميا مزودا بأحدث الأسلحة وأساليب القتال، بينما كان الثوار خليطا من الرجال من شتى فئات المجتمع وإن جمعتهم العقيدة الدينية وحب الجهاد في سبيل الله والوطن، إلا أنهم كانت تنقصهم الأسلحة المتطورة لإحداث الفارق.

فتمكنت القوات الفرنسية من التغلب على الثوار في معظم شوارع القاهرة، لكن الثورة ظلت مشتعلة في حي الأزهر،[3] حيث أرسل الجنرال بون تقريرا حربيا آخر إلى بونابرت يشير إليه باتخاذ وسائل ردعية عنيفة للقضاء على الثوار المحتشدين بداخل جامع الأزهر، كما اقترح عليه توجيه قوات للزحف على الجامع من كل الجهات المؤدية إليه قائلا:

"إن الدوريات التي قامت في فجر اليوم باستطلاع الجامع الكبير (الأزهر) أخبرتني أن الهدوء يسود هذا الحي، ولكن دوريات لاحقة وصلت الآن، أبلغتني عكس ذلك، ومن الضروري أيها المواطن الجنرال، اتخاذ إجراءات عنيفة، لتشتيت الجموع المسلحة التي تتجمع في هذا الحي، إني في انتظار أوامركم، ومن رأيي أن توجه قوات تزحف على هذا المسجد، ولكن من

---

[1] سلووكسي ياور بونابرت: هو ضابط بولوني الأصل، حيث كان مناضلا عسكريا من أجل تحرير وطنه الأصلي، ولما لقي الهزيمة أمام الجيش الروسي، تطوع في الجيش الفرنسي... (أنظر: الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص121).

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص155.

[3] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص156.

الأفضل أن نحمل عليه بواسطة تحركات مشتركة من جميع النواحي التي تؤدي إليه"،[1] فأخذ بونابرت برأي الجنرال بون، وأصدر أمرا في نفس اليوم إلى الجنرال برتية رئيس أركان حرب الجيش يتضمن اتخاذ أسرع التدابير لسحق الثورة، وذلك بقصف الجامع بالمدفعية، وقتل الثوار وإحراق المنازل، واحتلال الجامع بالجنود وإلى غير ذلك من الإجراءات لاحتواء الثورة القائمة داخل جامع الأزهر.[2]

حيث نفذ هذا الأمر الحربي تنفيذا صارما، فأخذت المدفعية المقامة على المرتفعات تقصف حي الأزهر قصفا مركزا متواصلا، كما احتلت أعداد كبيرة من الجنود الفرنسيين كل الطرق المؤدية إلى الجامع لحصر الثوار بين نيران المدفعية وطلقات البنادق.

فألحقت ثقوبا في جدران المسجد حتى أوشك على السقوط من شدة الضرب بالمدفعية.[3]

ويقول الجبرتي عن قصف المدفعية للأزهر ما يلي:

"إن الفرنسيين ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر وجرّروا عليه المدافع والقنبر، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين، كسوق الغورية والفحامين، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه، ولم يكونوا في عمرهم عاينوه، نادوا يا سلام من هذه الآلام، يا خفي الألطاف، نجنا مما نخاف، وهربوا من كل سوق، ودخلوا في الشقوق، وتتابع الرمي من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الأركان، وهدمت في مرورها حيطان الدور، وسقطت في بعض القصور، ونزلت في البيوت والوكائل، وأصمت الآذان بصوتها الهائل".[4]

---

[1] عوف أحمد محمد، مرجع سابق، ص155.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص122.

[3] الترك نقولا، مصدر سابق، ص163.

[4] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج3، مصدر سابق، ص26.

وفي غضون هذا القصف المشدد على جامع الأزهر بدأت الذخيرة تنفذ من الثوار المعتصمين بداخل الجامع، وازداد عدد قتلاهم بكثرة، ففضل الباقون منهم تسليم أنفسهم بعدما أدركوا استحالة مواصلتهم للمقاومة.[1]

وبعدها تقدم الجنود الفرنسيين إلى جامع الأزهر ورفعوا جميع الحواجز التي أقامها الثوار في الأزقة المؤدية إليه، وقاموا باقتحامه شر اقتحام، حيث ربطوا خيولهم في قبلة المسجد وأخذوا يقضون حاجاتهم بداخله في شتى أرجائه، وألقوا بالمصاحف على الأرض وداسوا عليها بأحذيتهم، كما قاموا بأعمال السّلب والنهب فخرّبوا خزائن الطلبة ونهبوا ما وجدوه فيها من الأموال والكتب ذات القيمة المادية والمعنوية الكبيرة،[2] كما لم يردع الجنود الفرنسيين حرمة الجامع فقضوا ليلتهم يشربون الخمر به دون إكتراث منهم لحرمته الدينية ولمكانته في نفوس المسلمين.[3]

إلا أن بونابرت لم يشفي غليله من الأزهر وشيوخه وطلبته رغم الفضائع التي ألحقها به، حيث أصدر أمرا يوم الثلاثاء 23 أكتوبر 1798م يقضي بهدم الأزهر أثناء الليل وذلك بتحطيم بعض أعمدته وإنشاء نقطة مراقبة مشددة عليه، وتنظيم الدوريات العسكرية في حيّه وهدم جميع الأبواب التي تسد الشوارع المؤدية إليه حتى تسهل على الجيش الفرنسي مهمة التواصل مع بعضهم البعض، إلا أن بونابرت تراجع عن هذا الأمر بعد أن سعى أعضاء الديوان من شيوخ الأزهر إلى منع بونابرت من تنفيذ أمره وطلبوا منه فتح الجامع من جديد، فقبل بونابرت طلبهم بعد أن ألقى اللوم عليهم وخاطبهم بلهجة شديدة.[4]

---

[1] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص136.

[2] سيار الجميل، مرجع سابق، ص307.

[3] الترك نقولا، مصدر سابق، ص164.

[4] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص ص 134-135.

ثم طلب منهم أن يذهبوا إلى الجامع ويعملوا على تنظيفه وأرجع لهم المصاحف فأخذوها ودخلوا إلى الجامع وأخذوا منه الجثث بمساعدة سكان القاهرة لهم،[1] وهكذا دخل شيوخ الأزهر إلى الجامع من جديد بعد انتهاك حرمته لأول مرة في تاريخه بطريقة تحط من قيمته الدينية في مصر والعالم الإسلامي.

فبعد أن انتقم بونابرت من الثوار والأزهر شر انتقام إلا أنه استمر في تعنفه مع سكان القاهرة، حيث أسرف الجنود الفرنسيين بالتنكيل بهم خاصة في المناطق المجاورة لجامع الأزهر، فأخذوا يقتحمون البيوت وينهبونها بحجة البحث عن الأسلحة ويصادرون ما يجدونه من أموال، كما يقومون بقتل كل من يعارضهم، ويصف الجبرتي ذلك الوضع وبالضبط في شارع الصنادقية القريب من الأزهر والذي كان هو يقطن به قائلا: "وانتهكت حرمة تلك البقعة، بعد أن كانت أشرف البقاع، ويرغب الناس في سكناها، ويودعون عند أهلها، ما يخافون عليه الضياع، والفرنساوية لا يمرون بها إلا في النادر، ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع، وانخفض على غير القياس المرفوع، ثم ترددوا في الأسواق، ووقفوا صفوفا مئينا وألوفا فإن مرّ بهم أحد فتشوه، وأخذوا ما معه، وربما قتلوه".[2]

كما أصدر بونابرت أمرا في 23 أكتوبر 1798م إلى الجنرال برتيه قطع رؤوس جميع المعتقلين الذين تم القبض عليهم ومعهم الأسلحة وأن تلقى جثثهم في النيل.

[1] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج3، مصدر سابق، ص27.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص 143.

كما لم يسلم علماء الأزهر من تسلط وظلم بونابرت حيث ألقي القبض على ستة منهم فتم بتاريخ 14 نوفمبر 1798م على الساعة التاسعة صباحا بميدان القلعة بالقاهرة قطع رؤوسهم، بعدما ثبتت عليهم تهمة التحريض على الثورة والاشتراك فيها.[1]

وهؤلاء الشيوخ الذين أعدموا هم: الشيخ إسماعيل البراوي والشيخ أحمد الشرقاوي، حيث كانا يقومان بالتدريس في جامع الأزهر، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي الذي كان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخاري، والشيخ يوسف المصيلحي الذي كان يقوم بالتدريس في جامع الكردي، والشيخ سليمان الجسوقي وكان من أحد العلماء المشهورين بالتدريس في جامع الأزهر، إلا أن السيد بدر المقديسي استطاع الإفلات من السلطات الفرنسية، حيث سافر إلى الشام، أما هؤلاء الشيوخ فتم إعدامهم سرا رميا بالرصاص ولم يتم العثور على قبورهم بعد ذلك.[2]

ولكن الشيخ عبد الله الشرقاوي باعتباره شيخا بجامع الأزهر كان أدرى بأسماء شيوخ الأزهر وعلمائه، حيث قال أن عدد العلماء الذين تم إعدامهم هو ثلاثة عشر عالما منهم من لقي حتفه برصاص الفرنسيين وقذائف مدفعيتهم.[3]

حيث أن الفرنسيين في هذه المناسبة كان هدفهم من التحايل على الشعب المصري وتكتم عدد العلماء الذين أعدموهم ليتجنبوا غضبه عليهم وما من شأنه أن يأزم الأوضاع أكثر مما هي عليه.

هـ- نتائج ثورة القاهرة الأولى:

- **من جانب المصريين:**

---

[1] الترك نقولا، مصدر سابق، ص165.

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص156.

[3] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص136.

لحقت بالشعب المصري في ثورة القاهرة الأولى خسائر فادحة في الأرواح، حيث ارتفع عدد الضحايا إلى حوالي أربعة آلاف قتيل، وتم تدمير العديد من المنازل خاصة تلك الموجودة قرب جامع الأزهر.

- كما خسر المصريون بصفة عامة والأزهر بصفة خاصة قائمة من نوابغ العلماء الذين كانوا سيكون لهم باع طويل في الحركة الدينية والفكرية بمصر وخارجها.[1]
- بعد إخماد ثورة القاهرة الأولى أيقن الشعب المصري استحالة التعايش مع الفرنسيين حيث تأكدوا أن مختلف مظاهر التحايل التي أبداها بونابرت اتجاه الشعب المصري عامة وشيوخ الأزهر وعلمائه خاصة هي عبارة عن حيل منه لاستدراجهم والرضوخ للأمر الواقع والاستسلام له.
- **من جانب الفرنسيين:**

أما عن الفرنسيين فقد تكبّدوا العديد من الخسائر المادية والبشرية في هذه الثورة، حيث ألحق الثوار بذخيرتهم الحربية الأضرار الكبيرة.

أما عن الخسائر البشرية فقد بلغت نحو ثلاثمائة قتيل، منهم ضابط فرنسي برتبة لواء وهو الجنرال "ديبوي"، والحاكم العسكري لمدينة القاهرة الجنرال "بون"، بالإضافة إلى ضابط برتبة مقدم وهو سلكووسكي ياور بونابرت، وعدد من الضباط والمهندسين وبعض العلماء، أما الباقي فهم من الجنود الفرنسيين.[2]

فهكذا عبّر المصريون بقيادة شيوخ الأزهر الشريف عن رفضهم للاحتلال الفرنسي لبلادهم عن طريق ثورة شعبية تلاحم فيها أبناء الشعب المصري، حيث استطاعوا ولو لفترة

---

[1] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص ص 155-167.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص ص 155-156.

قصيرة زعزعة الكيان الفرنسي بالقاهرة لتنبأهم عن شجاعتهم واستبسالهم في الدفاع عن وطنهم ودينهم.

فلقد كانت ثورة القاهرة الأولى ثورة شعبية دينية محض تنادى إليها شيوخ الأزهر الذين اعتمدوا على الإثارة الدينية لإلهاب حماس الثوار، حيث قاموا بالدور الرئيسي فيها سواءا من ناحية التخطيط لها أو زعامتها أو المشاركة في إحداثها، فهم الذين تحملوا قمعها وتكبدوا على نطاق واسع خسائرها، حيث استهدف مركزهم ورمز عزتهم جامع الأزهر وانتهكت حرماته، وذلك كله لا في سبيل شيء سوى محاربة أعداء الله والدين.

3-موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الثانية:

أ. ظروف اندلاع ثورة القاهرة الثانية:

بعد ثورة القاهرة الأولى والتي طبعت الموقف الحقيقي للأزهر بقيادة شيوخه وعلمائه من الحملة الفرنسية على مصر، إلا أن موقفه منها ظل متواصلا وذلك بمشاركته مرة أخرى في ثورة القاهرة الثانية، والتي كانت مثل الثورة الأولى تحت قيادة شيوخ وعلماء الأزهر الشريف.

- بعد مخلفات ثورة القاهرة الأولى في نفوس الشعب المصري، والتي استهدفت جامعهم ومكانهم المقدس هم وجميع المسلمين، زادت نقمة المصريين على الفرنسيين ورفعوا التحدي مصممين على محاربة الكفار الذين أهانوهم هم ومقدّساتهم الدينية، والتي كانت بالنسبة للمصريين بمثابة خط أحمر لا يمكن تجاوزه.[1]
- فشل نابليون بونابرت في حملته على الشام سنة 1799م، بعد أن أخفق في دخول مدينة عكا والإستيلاء عليها، وذلك نتيجة مقاومة حاكمها أحمد باشا الجزار واستبسال

[1] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص136.

أهلها في الدفاع عنها، مما جعل المصريين يستبشرون خيرا بذلك ويعقدون العزم هم أيضا على إخراجهم من بلادهم.[1]

- مغادرة نابليون بونابرت مصر باتجاه فرنسا في 22 أوت 1799م، جعلت الشعب المصري يغتنم فرصة غيابه للقيام بالثورة، بعد تعرّفهم على الحالة السيئة التي عمّت الحملة داخل مصر بعد رحيله.[2]
- توقيع معاهدة العريش في 24 جانفي 1800م بين الفرنسيين والعثمانيين والتي نصت على مختلف شروط جلائهم من مصر التي جعلت الشعب المصري يتأكد من سوء الظروف المحيطة بالحملة الفرنسية في تلك الفترة من الداخل والخارج، فجعلتهم هم يبادرون بمهمة إخراجها من مصر.[3]
- اغتنام فرصة خروج الجنرال كليبرمن القاهرة لملاقاة العثمانيين في معركة عين شمس التي وقعت في 20 مارس 1800م، وغياب عدد كبير من الجنود الفرنسيين الذين شاركوا في المعركة، حيث تولوا إشعال فتيل الثورة في نفس ذلك اليوم.[4]

فقد كانت كل هذه الظروف مجتمعة قد عبّدت الأرضية أمام الشعب المصري لقيامه بثورة ثانية في مدينة القاهرة ضد الاحتلال الفرنسي لبلادهم.

---

[1] يانج جورج، مرجع سابق، ص50.

[2] عمر عمرعبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص190.

[3] قدورة زاهية، مرجع سابق، ص333.

[4] يانج جورج، مرجع سابق، ص50.

ب-اندلاع ثورة القاهرة الثانية:

قامت ثورة القاهرة الثانية يوم 20 مارس 1800م في عهد قيادة الجنرال كليبر للحملة الفرنسية بعد مغادرة نابليون بونابرت مصر وتوجهه إلى فرنسا بزعامة كل من الشيخ محمد السادات والسيد عمر مكرم،[1] نقيب الأشراف، حيث أنه بينما كان كليبر يطارد العثمانيين في معركة عين شمس انتهز المصريون فرصة ذلك وقاموا بحصار ما تبقى من الفرنسيين داخل القاهرة، حيث تمكنوا من محاصرة قلاع الفرنسيين وأقاموا الحواجز وحفروا الخنادق، كما قاموا بإغلاق أبواب المدينة لتحصينها.

وخلال ذلك كان السيد المحروقي كبير تجار القاهرة والسيد عمر مكرم يتولون الإنفاق على أمور الثورة، كما تكاتف سكان القاهرة جميعهم وقاموا بإعانة بعضهم البعض أثناء الثورة.[2]

لكن عند عودة كليبر إلى القاهرة في 27 مارس 1800م وجد الثورة قد عمت كل المدينة بعد إشتعالها من حي البولاق، فسعى إلى إخمادها إلا أنه فشل في ذلك وهو الأمر الذي أدى به إلى إبرام صلح مع "مراد بك" وذلك في 12 أفريل 1800م، وقد قام مراد بك بهذا الصلح بعد أن خشي أن يسترجع العثمانيون سيادتهم على مصر ويطردوه منها بعد أن

---

[1] عمر مكرم: كان أول ظهور له في ميدان السياسة في عام 1795م حين اضطربت الأمور في القاهرة جرّاء طغيان مراد بك وإبراهيم بك حيث رفض عمر مكرم ذلك الوضع، وقد كان من أرفع الأسماء بين المصريين، اشتهر بكفاحه الطويل ضد الحملة الفرنسية على مصر... (أنظر: خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص 160-161).

[2] بكر محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص310.

تعرف على نية العثمانيين اتجاه المماليك، حيث رفض الانضمام إلى ناصف باشا، إذ فضّل التعاون مع الفرنسيين مقابل أن يقوموا بحمايته في حالة الهجوم عليه من طرف العثمانيين أو المصريين.[1]

وبعد ذلك قام مراد بك بمساعدة الفرنسيين على إخماد فتيل الثورة وقام بتسليم العديد من العثمانيين ممن لجئوا إليه إلى الفرنسيين، وفي هذه الأثناء قام الجنرال كليبر بفرض حصارا شديدا على مدينة القاهرة، حتى أصبح سكان المدينة يعيشون في ضيق اقتصادي رهيب، حيث ارتفعت أسعار البضائع وقلت كمياتها،[2] وكل ذلك كان محاولة من الجنرال كليبر لإجبار الثوار على تسليم المدينة، إلا أنه عكس ما توقع استمرت الثورة رغم الأزمة الاقتصادية الشديدة التي عاشها سكان القاهرة مما اضطره إلى ضرب حي البولاق بالمدافع و استمر ضربه إلى أن دمر عن آخره، وبعدها قام الجنرال كليبر بإضرام النار في مختلف أحياء مدينة القاهرة إلى أن عمت الحرائق كل أرجاء المدينة مما جعل شيوخ الأزهر يتدخلون من أجل حقن الدماء، وذلك لما شاهدوه من تأزم للوضع داخل القاهرة، حيث ذهبوا إلى الجنرال كليبر وطلبوا منه التوقف عن أعمال التخريب التي باشرها ضد المدينة وسكانها، فطلب منهم هذا الأخير أن يكونوا وساطة بينه وبين الثوار، حيث طلب من الثوار أن يسلّموا المدينة له ويكفوا عن القتال مقابل أن يمنحهم الأمن وعدم إيذائهم، فحمل شيوخ الأزهر ذلك الكلام إلى الثوار إلا أنهم رفضوا ذلك لأنهم كانوا يريدون المواصلة في القتال رغم مختلف الكوارث التي لحقت بهم.[3]

هذا وإن دلاّ فإنما يدلّ على شجاعة الثوار وإيمانهم بقضيتهم التي ثاروا من أجلها رافضين العيش في أمان مقابل تقبلهم لحكم الفرنسيين على بلادهم، وبعد فشل الوساطة التي

---

[1] ياغي إسماعيل أحمد، **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص 237.

[2] قدورة زاهية، مرجع سابق، ص333.

[3] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج3، مصدر سابق، ص100.

قام بها شيوخ الأزهر استمرت الثورة ومختلف أعمال الحرق والتخريب، في القاهرة إلى غاية أن تفوقت مدفعية الفرنسيين على الأسلحة البسيطة التي كان يمتلكها الثوار، فتمكن بذلك الجنرال كليبر من إخماد الثورة وتم في 21 أفريل 1800م توقيع اتفاق وقع عليه كل من ناصف باشا وإبراهيم بك وأهم ما جاء فيه هو تعهد المماليك والجنود العثمانيون بالجلاء عن القاهرة ويبدأ تنفيذ ذلك ابتداءا من يوم 25 أفريل 1800م، ومن ناحية أخرى تعهّد الجنرال كليبر بالعفو عن أهالي القاهرة الذين اشتركوا في الثورة بشرط أن يغادر المصريون المدينة خوفا منه من تحالفهم مع العثمانيون وتكوين جيش قوي ضدّه وضد وجود الحملة الفرنسية بمصر.[1]

وبذلك انتهت ثورة القاهرة الثانية بعدما دامت شهرا بأكمله طبعت موقفا آخر من مواقف الأزهر تجاه الحملة الفرنسية على مصر وذلك بمشاركتهم في وقائع هذه الثورة.

ج- انتقام كليبر من شيوخ الأزهر وعلمائه وقضية مقتله:

بعد أن أخمد كليبر ثورة القاهرة الثانية تفنن في التنكيل بشيوخ الأزهر وإهانتهم فلمّا علم بأنّ الشيخ محمد السادات هو أحد زعماء الثورة والمدبرين لها اغتنم فرصة ذلك وأسرف في إهانته وتعذيبه، وذلك نظرا للحقد الدفين الذي كان يكنه له منذ أيام تولي نابليون بونابرت قيادة الحملة الفرنسية على مصر.

فقد اعتقله في غرفة قذرة حيث كان الشيخ السادات يتوسّد الحجر وينام على التراب، وأمر جنوده بضربه ضربا مبرحا صباحا ومساءا، رغم أن ذلك الشيخ الجليل كان طاعنا في السن جسمه لا يتحمل مثل ذلك التعذيب.[2]

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص128.

[2] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص171.

كما خصّه الجنرال كليبر بغرامة حربية أثقلت كاهله فلم يجد سبيلا في تسديدها رغم مصادرة الفرنسيين لكل ممتلكاته، لكن ولما كان الشيخ محمد السادات يحضى باحترام وتقدير كبيرين من طرف الشعب المصري، فقد أثارت مسألة إهانته الغضب الشديد وسط الشعب المصري خاصة شيوخ وعلماء الأزهر، مما جعل كليبر يفرج عنه ولكن إلى حين.[1]

إلا أن كليبر ما لبث أن دفع ثمن إهانته للشيخ محمد السادات، حيث قتل على يد سليمان الحلبي[2] في 14 جوان 1800م، وبعد مختلف التحقيقات التي أجرتها السلطات الفرنسية في أعقاب مقتل كليبر وأثناء قيادة الجنرال مينو للحملة الفرنسية في مصر تبين أن أربعة من علماء الأزهر هم من أبلغهم القاتل بنيته، حيث تم القبض عليهم وإعدام ثلاثة منهم لأن الرابع تمكن من الهرب من قبضة الفرنسيين،[3] ومرة أخرى في شهر مارس 1801م أعادت السلطات الفرنسية اعتقال الشيخ محمد السادات بحجة مقدرته على إثارة عواطف الشعب المصري واستجابتهم له، و كانت تلك كلها ذرائع من جانب الفرنسيين لتبرير سبب اعتقالهم له.[4]

فبينما هو مسجونا توفي ابنه لكن الفرنسيون لم يفرجوا عنه، بل سمحوا له فقط بتشييع جنازة ابنه وهو مكبل اليدين، ثم أعيد بعدها إلى معتقله وهو يبكي فلذة كبده.[5]

---

[1] الترك نقولا، مصدر سابق، ص90.

[2] سليمان الحلبي: ولد عام 1777م في مدينة حلب، وهو من أب مسلم، حيث عمل مع والده إلى أن بلغ العشرين من عمره، حيث أرسله أبوه عام 1797هـ إلى القاهرة ليتعلم في جامع مع الأزهر أين توطدت صلته بالشيخ عبد الله الشرقاوي، هرب إلى الشام مدة ثلاث سنوات بعد مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، ليعود بعد ذلك لقتل الجنرال كليبر حيث نفذ مهمته بكل نجاح... (أنظر: الكاتب سيف الدين، **أطلس التاريخ الحديث**، دار الشرق العربي، بيروت، ط2، 2008، ص105).

[3] كشك محمد جلال، مرجع سابق، ص15.

[4] الشناوي عبد العزيز محمد، مرجع سابق، ص177.

[5] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص158.

فهذه صورة ما من شأنها أن توضح مدى معانات شيوخ الأزهر وعلمائه في هذه الثورة حيث كانوا هم من وجهت إليهم التهم بمجرد إخماد الثورة.

د- إغلاق جامع الأزهر:

ففي خضم كل هذه الأحداث كان الفرنسيون يوجهون جل شكوكهم نحو جامع الأزهر الذي اعتبروه بؤرة تنطلق منها الثورات الشعبية ضدهم، حيث أسرفوا في إهانته هو وشيوخه وعلمائه بمختلف الوسائل.

وفي ظل هذه الأوضاع رأى الشيخ عبد الله الشرقاوي هو وعدد من شيوخ الأزهر أن بقاء الجامع مفتوحا في مثل تلك الظروف سيلحق به العديد من الأخطار بعدما وضعه الفرنسيون صوب أعينهم، فاستقر رأيهم على أنه من الأفضل إغلاقه.[1]

وبعد ذلك توجه كل من الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ المهدي الصاوي إلى الجنرال مينو وشرحوا له موقفهم من مسألة إغلاق جامع الأزهر، على أنهم يهدفون من وراء ذلك إلى إبعاده عن لجوء المحرضين والجواسيس إليه، فقبل الجنرال مينو طلب شيوخ الأزهر، وتم إغلاق جامع الأزهر يوم 21 جوان 1800م، حيث عطلت به شعائر الصلاة والحلقات الدراسية مدة عام من الزمن، ولم يفتح أبوابه إلا في يوم 2 جويلية 1801م.[2]

فهذا ما من شأنه أن يوضح المأساة التي لحقت بجامع الأزهر خاصة وبالمصريين عامة، حيث كانت تلك هي أول مرة تغلق أبوابه وتمنع به الصلاة والتدريس منذ إنشائه في عهد الدولة الفاطمية.

هـ- نتائج ثورة القاهرة الثانية:

---

[1] الجمل شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص136.

[2] كشك محمد جلال، مرجع سابق، ص16.

- **من جانب المصريين:**
- لقد تكبد الشعب المصري خلال ثورته هذه العديد من الخسائر البشرية من مختلف شرائح المجتمع.
- إلحاق أضرار كبيرة بمدينة القاهرة جرّاء الحرائق التي التهمت مختلف أحياء المدينة مخلفة ورائها دمارا كبيرا.
- تدمير حي البولاق بمدينة القاهرة من خلال ضربه بالمدفعية وبذلك فقدت القاهرة الحي العريق الذي يعتبر بمثابة ميناءا لها نظرا لواجهته البحرية الهامة التي يتموقع بها.[1]
- فرض غرامات مالية كبيرة على سكان مدينة القاهرة جميعهم ومعاقبة كل من لم يسدّدها بمصادرة أملاكه أو اعتقاله.
- فرض غرامات مالية ضعف ما فرضت على العامة من سكان القاهرة على جميع شيوخ الأزهر جعلتهم يبيعون ما يملكون بأبخس الأثمان من أجل تسديدها، حيث فرضت على الشيخ مصطفى الصّاوي غرامة مالية قدرها 260 ألف فرنك، وفرضت على الشيخ محمد الجوهري غرامة قدرها 260 ألف فرنك أيضا.
- **من جانب الفرنسيين:**[2]
- في هذه الثورة لم تلحق بالفرنسيين خسائر كبيرة حيث أنهم كانوا هم الطرف المهاجم في الثورة، حيث أنهم فقدوا بعض الجنود الفرنسيين فقط أثناء عمليات تبادل الرمي بالرصاص مع الثوار.[3]

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص129.

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص157.

[3] يانج جورج، مرجع سابق، ص52.

- وبالتالي فقد كانت ثورة القاهرة الثانية مثل سابقتها عبّرت عن مختلف مظاهر شيوخ الأزهر الوطنية وتقديم مصلحة الشعب عن مصلحتهم الخاصة، بحيث كان ذلك موقفا آخر ميز موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر.

لقد كان جامع الأزهر إبان الحملة الفرنسية على مصر بمختلف مراحل سيرها فيها بؤرة لتحريك الثورات الشعبية ضد الفرنسيين بقيادة شيوخه وعلمائه الذين لم يتخلّفوا عن دورهم الذي طالما عهده عليه الشعب المصري من قبل، فهبّوا هبة رجل واحد من أجل دفاعهم عن دينهم ووطنهم راسمين بذلك أجمل المواقف التي حسب لصالحهم من الحملة، والتي برزت بشكل إيجابي كبير أثناء ثورة القاهرة الأولى والثانية، وما جعل موقفهم يبرز بهذه المدينة هو كونها عاصمة البلاد وموقع الحكومة الفرنسية، بالإضافة إلى كل ذلك أنها مكان تواجد جامع الأزهر الذي لعب دورا كبيرا في مواجهة الحملة.

الفصل الثالث:

موقف الأزهر من محمد علي باشا

- أوضاع مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية منها
- ظروف تنصيب محمد علي باشا واليا على مصر
- موقف الأزهر من محمد علي باشا
- إصلاحات محمد علي باشا وعلاقته بالماسونية

لقد كان الأزهر إبّان حكم محمّد علي باشا على مصر مثلما كان عليه من قبل أثناء فترة حكم الولاّة العثمانيين والأمراء المماليك، وأثناء فترة الحملة الفرنسية على مصر، فقد لعب مشايخ وعلماء الأزهر الدور الأساسي والفعال في حسم الأمور لصالح الشعب المصري الذي كادت أن تعصف به مختلف الأزمات السياسية التي شهدتها مصر بعد خروج الفرنسيين منها، فلذلك كان مشايخ وعلماء الأزهر هم أصحاب الفضل الكبير في تنصيب محمد علي باشا واليا على مصر.

1- أوضاع مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية منها:

لم تكد مصر تتنفس الصعداء بعد خروج الحملة الفرنسية منها، حتى استقبلت عهدا آخر عمته سلسلة من الاضطرابات والنزاعات التي تمحورت كلها حول التنافس على السلطة ومقاليد الحكم، مما جعل مصر تمر بفترة من الفراغ السياسي التي أثرت عليها بشكل سلبي وخطير، ووجهت إليها أنظار الدول المتربصة بها من جديد في مقدمتها كل من فرنسا وبريطانيا.

بحيث ظهرت على الساحة السياسية بمصر ثلاثة قوى تنافست فيما بينها على السلطة، تمثلت في كل من الدولة العثمانية والمماليك، إضافة إلى الانجليز الذين احتدم الصراع بينهم في الفترة الممتدة من (1801م إلى 1805م).[1]

وقد لعب الأزهر بقيادة شيوخه وعلمائه دورا هاما في هذه الفترة من تاريخ مصر، فقد كانوا هم الملاذ الذي يلجأ إليه أفراد الشعب المصري لرفع المظالم التي لحقت بهم جراء السياسة التعسفية المتبعة من طرف الولاة العثمانيين والأمراء المماليك ضدّهم، خاصة وأن تلك الفترة شهدت العديد من أعمال العبث والتخريب جراء سياسة سوء التسيير التي كان يقوم

[1] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص151.

بها الولاة الذين يبعث بهم السلطان العثماني سليم الثالث إلى مصر إضافة إلى الجنود العثمانيين الموجودين بها، في محاولة منهم لتثبيت سلطانهم بمصر، حيث كان الولاة العثمانيون يفرضون الضرائب الباهظة على الشعب المصري من أجل دفع رواتب الجند العثمانيين الذين عجزت الدولة العثمانية عن تسديدها لهم، كما كان الجنود العثمانيون أيضا يعتدون على الشعب المصري معتبرينهم مجردين من كل حقوقهم في العيش الكريم.[1]

ففي ظل كل تلك الأوضاع كان أفراد الشعب المصري يلجؤون إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف وغيرهما من الشيوخ والعلماء لرفع الظلم عنهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الأمراء المماليك يتبعون نفس سياسة الولاة والجنود العثمانيين على الشعب المصري، في محاولة منهم لاستعادة ما كان لهم من سلطة ونفوذ قبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر.

إلا أن الدولة العثمانية عملت على استرجاع مصر في خارطة حكمها مستعملة في ذلك كل الوسائل الممكنة للحيلولة دون استرجاع المماليك لقوتهم من جديد في مصر،[2] أما الانجليز فكانوا هم الطرف الثالث الذي شارك في محور التنافس على السلطة في مصر بعد جلاء الفرنسيين منها، فبعد مشاركتهم مع العثمانيين في إخراج الحملة الفرنسية من مصر وتمكنوا من التخلص منها، أرادوا أن يبقوا على نفوذهم بمصرهم أيضا، حيث تحالفوا مع المماليك رغبة منهم في أن يكونوا الطرف المساند لهم أثناء تواجدهم بمصر،

حيث تماطلوا في الخروج من مصر إلا بعد عقد صلح إميان[3] وبدورهم المماليك هم أيضا أبدو اهتمتامهم بالانجليز حيث تجلى ذلك من خلال الزيارة التي قام بها محمد بك الألفي

---

[1] رفعت محمد، **تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة**، (د.ت.)، القاهرة، 1934م، ص67.

[2] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص151.

[3] صلح إميان: حدث في 27 مارس1802م ، بين فرنسا وإنجلترا وإسبانيا وهولندا، بموجبه احتفظت فرنسا بمعظم فتوحاتها، وردت انجلترا معظم المناطق التي استولت عليها منها السواحل المصرية... (أنظر:

سنة 1802م إلى لندن، حيث طلب هذا الأخير من الحكومة الإنجليزية دعمها لهم من أجل استرداد قوتهم و زعامتهم في مصر من جديد.[1]

وفي هذه الأثناء نصّب السلطان العثماني سليم الثالث خسرو باشا[2] واليا على مصر، إلا أن هذا الأخير لم يتمكن من السيطرة على قوات المماليك المتمردة عليه، كما لم يحسن تسيير أمور إدارته مما جعل جنده يثورون عليه جراء تأخر رواتبهم، وبالتالي تمرّدوا عليه ورفضوا المشاركة معه في مواجهة المماليك وازدادوا ثورة عليه، وهو ما اضطرّه إلى الفرار منهم إلى دمياط، وقد كان طاهر باشا[3] هو أشد المحرضين للجند العثمانيين والألبانيين على خسرو باشا رغبة منه في توليه هو مقاليد الحكم بمصر.

فخلال كل هذه الأوضاع برز دور مشايخ وعلماء الأزهر، وذلك بعدما رأوه من تطاحن على السلطة وما إنجرّ عنه من فوضى واقتتال بين العثمانيين والمماليك، وفي خطوة منهم لاحتواء ذلك الوضع المتدهور الذي كان يعم البلاد عيّنوا طاهر باشا واليا على مصر خلفا

صبري محمد، **تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1996، ص34).

[1] رفعت محمد، مرجع سابق، ص68.

[2] خسرو باشا: هو أول والي عثماني نصب حاكما على مصر بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر، ودامت فترة حكمه بمصر من جانفي 1802م إلى ماي 1803م... (أنظر: الإسكندري عمر، حسن سليم، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1996، ص31).

[3] طاهر باشا: هو قائد القوات الألبانية الموجودة بمصر، وهو ثاني والي عثماني ينصب على حكم مصر بعد الوالي خسرو باشا منذ جلاء الفرنسيين من مصر... (أنظر: المرجع نفسه، ص32).

للوالي المخلوع خسرو باشا، وذلك بتاريخ 6 ماي 1803م، لكنه لم يستمر طويلا في منصبه إذ اغتالته جنود الإنكشارية[1] في 26 مارس من نفس العام.[2]

هذا وإن دلّ فإنّما يدلّ على انعدام الاستقرار الداخلي بمصر، ما جعلها تمر بأزمة أخرى من الفوضى واللاأمن بعد تلك التي شهدتها البلاد أثناء تواجد الحملة الفرنسية بها.

2-ظروف تنصيب محمد علي باشا واليا على مصر:

أ. تعريف محمد علي باشا:

لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر تجربة مريرة مرّ بها الشعب المصري ولدت فيه روح الانتماء إلى الوطن، ورسّخت فيه ثقته بنفسه في مواجهة مختلف التحديات التي قد تواجهه بعيدا عن اتكاله على المماليك الذين خذلوه من خلال إخفاقهم في الدفاع عن بلادهم، والذين طغت سلبياتهم على إيجابياتهم و عاثوا في البلاد فسادا، ولا على العثمانيين الذين رأى فيهم عدم المبالات بمصر وأوضاع شعبها.

فبعد أن فقد الشعب المصري ثقته فيهم، أخذ يبحث عن الشخص الذي يضع مصلحة الشعب فوق كل مصلحة، وفي أثناء هذه الفترة ظهر شخص رأى فيه الشعب المصري المميزات التي كان يبحث عنها ألا وهو محمد علي باشا[3] الذي ولد في جانفي من سنة

---

[1] جنود الانكشارية: هي طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين شكلوا تنظيما خاصا بهم، لهم تكناتهم العسكرية ورتبهم وامتيازاتهم الخاصة بهم، وهم أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذا... (أنظر: أبو الفضل محمد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص9).

[2] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص153.

[3] أنظر الملحق رقم 04، ص114.

1769م بمدينة قولة[1] من أب ألباني الأصل اسمه إبراهيم أغا، وكان له من الإخوة سبعة عشر أخا ماتوا كلهم ولم يبقى إلا هو وحيد أبويه.

وفي سنة 1773م توفي والده ووالدته وهو يبلغ من العمر أربع سنوات فقط، حيث أصبح يتيما فكفله عمه طوسون أغا، ولكن بعد مدة قصيرة توفي عمه أيضا ليترك محمد علي بدون وكيل له.[2]

ولكن بعدها تكفل برعايته حاكم مدينة قولة وهو "جربتجي براوسطة"، حيث ترعرع في وسط عائلته حتى بلغ أشدّه.[3]

إلا أن محمد علي باشا لم يتلقى تعليما منتظما في طفولته، ورغم ذلك فقد اكتسب خبرة جيدة في ديوان عمه طوسون أغا[4] ولما بلغ العشرين من عمره دخل ميدان التجارة من بابه الواسع أين أظهر براعة كبيرة في جباية الضرائب، حيث اختص في تجارة التبغ باعتبارها من أكثر السلع رواجا في بلاده وبرع فيها، مما اكسبه شهرة واسعة وثقة عظمى وسط التجار وعملائه، وبعد أن علا نجمه وأصبح محبوبا وسط سكان مدينته، تزوّج من سيّدة واسعة الثراء مما زاده شهرة وقوة ونفوذا.[5]

---

[1] مدينة قولة: تقع على بعد ى28 كلم شرقي سالونيك على الساحل المقدوني في بلاد اليونان... (أنظر: نمير طه ياسين، مرجع سابق، ص73).

[2] جرجي زيدان، **تاريخ مصر الحديث**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ج2، ص147.

[3] يانج جورج، مرجع سابق، ص61.

[4] عبد الرحمان زكي، **التاريخ الحربي لعصر محمد علي**، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص19.

[5] عبد المنعم شعيب علي، **التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفرابي، بيروت ، 2005، ص15.

وبعد ذلك انخرط في الجيش وتدرج في الرتب حيث عيّن في سلك الجيش، ثم عيّن ضابطا في الأسطول العثماني وحصل على رتبة نقيب نظرا لمقدرته وشجاعته من خلال سعيه وراء بلوغ أعلى وأرقى المناصب.[1]

ولما بلغ الثلاثين من عمره التحق بكتيبة ألبانية حيث أظهر في الجيش موهبة كبيرة إلى أن غدا قائدا للقوات الألبانية، والتي دخلت في عداد الجيوش العثمانية التي أرسلها السلطان سليم الثالث في سنة 1799م إلى مصر لمواجهة حملة نابليون الموجهة إلى مصر، وقد كانت تلك الجيوش ضمن حامية مكونة من عدة سفن حربية شغل بها محمد علي مركز نائب لقائد الحامية علي أغا،[2] ولما وصلت الحامية الألبانية إلى مصر تولّى محمد علي باشا مع قائد الحامية مهمة محاربة الفرنسيين، حيث شاركوا مع المصريين في معركة أبي قير البرية[3] والتي دارت أحداثها في تاريخ 24 جويلية 1799م أين هزم العثمانيين أمام الفرنسيين، والتي تعرض فيها محمد علي باشا إلى الموت المحقق حيث أوشك على الغرق، لو لم ينقذه سيدني سميث قائد الأسطول البريطاني، وبعدها غادر محمد علي باشا مصر، ليعود إليها بعد عامين كقائد لكتيبة ألبانية في أوت 1801م متوليا مهمة إخراج الفرنسيين من مصر.[4]

ولما كان موجودا بمصر منحت له الفرصة للتعرف على شخصية نابليون بونابرت، والتي أعجب بها أيما إعجاب، حيث بلغ به حد التأثر بنابليون على أن انتهج نفس سياسة التي اتبعها في مصر من خلال إدخاله لمختلف فنون الإصلاح والتي تعرف عليها بعدما

---

[1] نمير طه ياسين، مرجع سابق، ص73.

[2] علي أغا: هو حاكم مدينة قولة وقائد الحامية الألبانية الموجهة إلى مصر لمحاربة نابليون... (أنظر: عبد الرحمان زكي، مرجع سابق، ص19).

[3] الأيوبي إلياس، **محمد علي سيرته وأعماله وآثاره**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.م.)، 2012، ص13.

[4] الأنصاري ناصر، **مجمل تاريخ مصر**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1997، ص212.

إطلع عليها عن طريق الفرنسيين، كما كان محمد علي باشا يتابع سيرة حياة نابليون باهتمام كبير، وما يبرز ذلك هو إصداره لأوامر تقضي بترجمة كتاب عن حياة نابليون بونابرت كان قد ألّفه Due Rovigo والذي ترجم من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية.[1]

فعلى الرغم من أن طفولة محمد علي باشا كانت قاسية عليه إلا انه وجد أيدي أمينة أنقذته من المصير المجهول الذي كان ينتظره، وأخذت به إلى بر الأمان، فمن هنا يمكن القول أن ظروف الحياة قست عليه من ناحية إلا أنها أنصفته من ناحية أخرى.

ب- دور محمد علي باشا في توطيد نفوذه داخل مصر:

فبعد موت طاهر باشا خلفه على رأس القوات الألبانية الموجودة بمصر محمد علي باشا حيث كانت تلك هي الخطوة الأولى التي خطاها متدرجا في الرتب من أجل الحصول على السيادة المطلقة بمصر، فبعد توليته تلك كانت مصر تمر بفترة من عدم الاستقرار والفوضى وكان المصريون هم من يتحملون عواقبها بالدرجة الأولى.[2]

ونظرا لحنكته ومقدرته على استغلال تلك الظروف لصالحه تحالف مع عثمان بك البرديسي[3] الذي كان يرى فيه محمد علي باشا الشخص الذي قد يستغله لتحقيق ما يصبوا إليه خطوة بخطوة، خاصة وأن عثمان بك البرديسي كان له نفس تفكير محمد علي باشا من خلال استناده على الفرنسيين وكان يفضل الاستنجاد بهم في حالة مادعت الظروف إلى ذلك.[4]

---

[1] غربال محمد شفيق، **محمد علي بك الكبير**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص29.

[2] رفعت محمد، مرجع سابق، ص69.

[3] عثمان بك البرديسي: سمي بهذا الاسم لأنه تولى كشوفية برديس بقبلي، تقلد أمور الصنجقية، حيث اشتهر بين الناس، وأصبح من بين الأمراء... (أنظر: أبو الفضل محمد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص7).

[4] جرجي زيدان، مرجع سابق، ص150.

وبعد قيام ذلك التحالف تمكن محمد علي باشا من طرد الوالي العثماني الذي كان قد أرسله الباب العالي ليحكم مصر خلفا لطاهر باشا ألا وهو أحمد باشا، حيث خلعوه من منصبه بعدما حكم ليوم واحد فقط، وهذا خير دليل على رغبة محمد علي باشا في تولي أمور الحكم بمصر منذ البداية.[1]

لكن تحالف محمد علي باشا مع عثمان بك البردسي لم يدم طويلا، إذ ونظرا لفداحة الضرائب التي فرضها البرديسي على الشعب المصري كانت سببا في ثورتهم عليه هو خاصة والمماليك عامة، بعدما كسبوا التأييد الكامل من طرف مشايخ وعلماء الأزهر لهم واللذين لطالما كانوا السند الآمن الذي يحتمون به، وبذلك قامت ثورة عارمة في مدينة القاهرة ضد المماليك، وفي خضم تلك الأوضاع رأى محمد علي باشا أنه من مصلحته التحالف مع شيوخ وعلماء الأزهر، حيث تمكن من المشاركة معهم في ثورتهم على المماليك مدعيا وقوفه معهم ضدهم ومعارضة مسألة الضرائب المفروضة عليهم من طرفهم، إذ أمر جنوده من الألبانيين بمهاجمة المماليك الموجودين بمدينة القاهرة، حيث تمكنوا من إخراجهم من المدينة وذهبوا بعد ذلك إلى الصعيد.[2]

حيث كسب محمد علي باشا بذلك محبة الشعب المصري له وثقة مشايخ وعلماء الأزهر به، وبعدما تمكن من حسم الموقف لصالحه حيث برز كمنفذ ومهتم بمصالح الشعب المصري، ورغبة منه في تمهيد الطريق أمامه كمقدمة نحو بلوغه السلطة سعى وراء تعيين خورشيد باشا[3] واليا على مصر، في حين استمر التطاحن بين الجنود الألبانيين والمماليك

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر، 1517-1922م**،مرجع سابق، ص219.

[2] نفسه.

[3] خورشيد باشا: هو رابع والي عثماني ولي على حكم مصر بعد خروج الحملة الفرنسية منها... (أنظر: الإسكندري عمر، مرجع سابق، ص32).

الذين حاولوا العودة مرة أخرى إلى مدينة القاهرة لكن جنود محمد علي باشا تصدوا لهم، واضطروا إلى العودة مرة ثانية إلى الصعيد.[1]

وفي هذه الأثناء حاول الوالي خورشيد باشا إبعاد محمد علي باشا عن مصر، وذلك لما رآه فيه من مقدرة على قلب الأمور لصالحه بعدما استطاع إبعاد المماليك من القاهرة، لكن في ذلك الوقت كان محمد علي باشا قد أصبح محط أنظار مشايخ وعلماء الأزهر بعدما اظهره من مختلف مظاهر العطف والشفقة تجاه الشعب المصري، ولما كان مشايخ وعلماء الأزهر تهمهم مصلحة الشعب المصري بالدرجة الأولى، رأوا فيه الشخص المثالي الذي يخلص الشعب المصري من الأزمات المتكررة التي لحقت به من خلال تسلط الولاة العثمانيين والأمراء المماليك عليه.[2]

3- موقف الأزهر من محمد علي باشا وانقلابه عليهم:

أ. دور مشايخ وعلماء الأزهر في تولية محمد علي باشا واليا على مصر:

وفي خضم كل تلك الأوضاع أرادت الدولة العثمانية إبعاد محمد علي باشا من مصر بعدما رأت تفوقه على حساب قوة المماليك، وفي نفس الوقت تلك الثقة الكبيرة التي أصبح يتمتع بها من طرف الشعب المصري بقيادة مشايخه وعلمائه، حيث أرسل الباب العالي فرمانا سلطانيا يقضي بعودة جميع الألبانيين الموجودين في مصر وعلى رأسهم محمد علي باشا إلى بلادهم، لكن مشايخ وعلماء الأزهر رفضوا ذلك الفرمان وطالبوا بإبقاء محمد علي باشا في مصر، ذلك لما شاهدوه فيه من مختلف مظاهر العدل التي لم يتوانى في إظهارها

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص219.

[2] جرجي زيدان، مرجع سابق، ص150.

لهم، وبدوره هو وافق على طلبهم في البقاء بمصر، وكتبوا التماسا إلى السلطان العثماني سليم الثالث بموافقته على إبقاء محمد علي باشا في مصر.[1]

لكن خورشيد باشا عزّ عليه أن يبقى هذا الأخير بمصر، وأخذ يعمل جاهدا على إبعاده منها، وكردّ على ما أبدوه مشايخ وعلماء الأزهر من ثقة كبيرة في محمد علي باشا أسرف خورشيد باشا هو وجنوده من العثمانيين في استغلال الشعب المصري من خلال فرضه للضرائب الباهظة عليه وسوء معاملة جنوده له، الأمر الذي جعل شيوخ وعلماء الأزهر يتوجهون إلى بيت القاضي المتواجد بمدينة القاهرة، ورفعوا إليه شكاويهم المتعلقة بخورشيد باشا هو وجنوده وما ألحقوه بأفراد الشعب المصري من ظلم وتعسف، الأمر الذي رفع بالقاضي إلى استدعاء نواب عن الوالي خورشيد باشا ليذهبوا إليه حيث أبلغهم بمطالب مشايخ وعلماء الأزهر ليقوم الوالي بتنفيذها[2] والتي تلخصت فيما يلي:

- أن لا تفرض أي ضريبة على الشعب المصري بمختلف نشاطاتهم من حرفيين وتجار وغيرهم إلا إذا وافق عليها شيوخ الأزهر وعلمائه.
- أن يغادر الجنود العثمانيين مدينة القاهرة وتنتقل حاميتهم إلى مدينة الجيزة.
- أن لا يسمح للجنود العثمانيين الدخول إلى مدينة القاهرة وهم يحملون السلاح تفاديا لأي مصادمات قد تقع بينهم وبين أفراد الشعب المصري.
- أن تعاد حركة المواصلات بين مدينة القاهرة ومختلف المدن المصرية الأخرى بعدما تعطلت متأثرة بالأوضاع المتردية التي كانت تعيشها مصر في تلك الفترة.[3]

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص220.

[2] رفعت محمد، مرجع سابق، ص78.

[3] أبو الفضل محمد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ص 12-13.

لكن الوالي خورشيد باشا رفض مطالب مشايخ وعلماء الأزهر مما جعلهم يقررون يوم 13 ماي 1805م عزله من منصبه، وتعيين مكانه محمد علي باشا، إلا أن هذا الأخير تردد في الموافقة أول الأمر حتى لا تنسب إليه مهمة التحريض من أجل عزل خورشيد باشا، قائلا: "أنا لا أصلح لذلك ولست من الوزراء ولا من الأمراء، ولا من أكابر الدولة".

لكن بدورهم مشايخ وعلماء الأزهر أصروا على تولية محمد علي باشا واليا على مصر بالنيابة مكان خورشيد باشا، حيث ذهب كل من الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ محمد المهدي، والشيخ سليمان الفيومي، والشيخ محمد السادات، والسيد عمرمكرم نقيب الأشراف، وغيرهم من المشايخ والعلماء إلى بيت محمد علي باشا وأبلغوه رغبتهم هم والشعب المصري في أن يكون هو واليا عليهم، حيث قبل محمد علي باشا طلبهم بعدما رأى تمسكهم الكبير به، وأعلنوا مباشرة عن عزل الوالي خورشيد باشا من منصبه وتعيين محمد علي باشا واليا بالنيابة على مصر حتى يرسل الباب العالي واليا جديدا أو يتم تعيين محمد على باشا رسميا في منصبه.[1]

إلا أن مشايخ وعلماء الأزهر لم ينصبوا محمد علي باشا واليا عليهم إلا بعدما قبل هذا الأخير كل الشروط التي رفضها خورشيد باشا، وطالبوه أبضا بالعودة إليهم والأخذ بمشورتهم في مختلف القرارات التي تتعلق بأمور الحكم أو بالشعب المصري.

[1] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص ص 220-221.

وبالتالي يعتبر أمر تعيين محمد علي باشا واليا على مصر حدثا فريدا من نوعه يمثل نجاح الشعب المصري بقيادة زعمائه من مشايخ وعلماء الأزهر في تولية من أرادوه هم لا من يفرضه عليهم الباب العالي.[1]

لكن لما علم خورشيد باشا بأمر تولية محمد علي باشا واليا على مصر مكانه رفض أن يخضع لرغبة الشعب المصري بقيادة شيوخه وعلمائه، وقرّر المقاومة حيث بقي بالقلعة متخذا عدة تدابير عسكرية من تحصينات لأجل مواجهة المصريين، وبدورهم مشايخ وعلماء الأزهر أعلنوا الثورة ضدّه بقيادة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والتي دامت مدة شهرين من الزمن، حيث لعب هو الدور الرئيسي فيها، وذلك عندما طاف في مدينة القاهرة محرضا الشعب المصري ضد خورشيد باشا، وطالبا منهم في نفس الوقت تأييده في الثورة والمشاركة فيها، حيث تحدث الجبرتي عن ذلك وقال: "واجتهد السيد عمر أفندي النقيب وحرض في الناس على الاجتماع والاستعداد، وركب هو والمشايخ إلى بيت محمد علي، ومعهم الكثير من المشايخ والعامة، والكل بالأسلحة والعصي والنبابيت، ولازموا السهر بالليل في الشوارع والحارات ويسرحون أحزابا وطوائف، ومعهم المشاعل ويطوفون بالجهات والنواحي وجهات السور".[2]

وقد حاصر الثوار القلعة أين موجود خورشيد باشا، مما دفع بجنود هذا الأخير إلى الهجوم على الثوار في 24 ماي 1805م، لكن هجومهم باء بالفشل لأن الثوار استطاعوا التغلب عليهم، واستمرّ حصارهم إلى أن أصبح خورشيد باشا هو وجنوده يعيشون في ضيق اقتصادي رهيب من جوع وعطش، ما دفع به أن يخرج لمقاومة الثوار، حيث استمرت المعارك بين الطرفين مدة من الزمن كان النصر فيها كلها لصالح المصريين من الثوار،

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص ص 220-221.

[2] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج3، مصدر سابق، ص330.

واستمر الأمر كذلك إلى غاية يوم 9 جويلية 1805م، عندما جاء إلى مدينة القاهرة رسول من الباب العالي يحمل مرسوما سلطانيا يقضي بتولية محمد علي باشا رسميا واليا على مصر، ابتداء من يوم 18 جويلية 1805م. [1]

كما جاء أيضا في المرسوم السلطاني من طرف الباب العالي أن يتوجه خورشيد باشا المعزول عن ولاية مصر إلى مدينة الإسكندرية ويبقى فيها حتى يأتيه أمر آخر من طرف الباب العالي ينصبه على إحدى الولايات العربية الأخرى، لكن هذا الأخير رفض مضمون المرسوم السلطاني، وبقي مصرا على المقاومة حتى هدّده رسول السلطان العثماني سليم الثالث، بإعلانه التخلي عنه وعصيانه لدولته، وهو الأمر الذي جعل خورشيد باشا يستسلم مرغما وذلك يوم 06 أوت 1805م، ويتوجه إلى الإسكندرية كما أمر من طرف الباب العالي.[2]

وهكذا استطاع الشعب المصري بقيادة شيوخه وعلمائه أن ينجحوا في تنصيب محمد علي باشا واليا عليهم، وذلك بإرادتهم هم أولا ثم رضوخ الباب العالي لطلبهم ثانيا، وهذا ما يفسر تأصّل روح المقاومة فيهم وعدم استسلامهم لمختلف أساليب الظلم والاستعباد التي فرضها عليهم الولاة العثمانيين والأمراء المماليك.

ب- مساندة شيوخ وعلماء الأزهر لمحمد علي باشا أثناء حملة فريزر على مصر:

[1] الجبرتي عبد الرحمن، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ج4، ص ص 9-10.

[2] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر 1517-1922**، مرجع سابق، ص 226.

لما كانت كل من فرنسا وإنجلترا تتربّصان بمصر، وكل واحدة منهما تريد الفوز بمصر لوحدها، وأن يكون لها بالمنطقة مصالح إستراتيجية تضمن من خلالها تواجدها بها، لتفوت كل منهما على الأخرى فرصة الفوز بمصر لوحدها.

ومن جهة أخرى فنظرا لنجاح بونابرت في مهمة القضاء على التحالف الإنجليزي العثماني الذي كان قائما بينهما منذ خروج الحملة الفرنسية من مصر، حيث تطور الموقف السياسي في أوروبا لغير صالح الانجليز بسبب ذلك التقارب الذي حصل بين نابليون بونابرت والسلطان العثماني سليم الثالث، حيث نجح في إقناع السلطان العثماني بإعلان الحرب على إنجلترا وذلك في شهر ديسمبر سنة 1806م.

مما جعل الإنجليز يبادرون بمهمة الدخول إلى مصر رغبة منهم في تفادي الصدام المباشر الذي قد يحصل بين العثمانيين بمساعدة من الفرنسيين وبينهم، وما قد يترتب عليه من عواقب وخيمة تفوت عليهم فرصة التوغل في مصر.

فردّت إنجلترا على ذلك بتوجيهها لحملة فريزر[1] في شهر مارس من سنة 1807م، حيث كان غرضها منها هو احتلال مدينة الإسكندرية لمنع نزول الفرنسيين بها، كما أرادوا بعث علاقاتهم مع المماليك من جديد ليكونوا طرفا مساندا لهم في مواجهتهم مع العثمانيين والمصريين.[2]

وفي هذه الأثناء برز دور مشايخ وعلماء الأزهر من خلال مساندتهم لمحمد علي باشا من أجل مساعدته على مواجهة أمر الحملة الإنجليزية على مصر، حيث ما لبث أن دعا

---

[1] حملة فريزر: سميت كذلك نسبة للجنرال البريطاني فريزر قائد الحملة الموجهة إلى مصر سنة 1807... (أنظر: الجبرتي عبد الرحمان، **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس**، تحقيق عبد الرزاق عيسى، مطبعة النيل، الجيزة، 1988، ص ص67-68).

[2] الجبرتي عبد الرحمان، **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس**، مصدر سابق، ص70.

السيد عمر مكرم نقيب الأشراف شيوخ الأزهر وطلبته للمشاركة في الوقوف مع محمد علي باشا أثناء مواجهاته مع الإنجليز، مما جعلهم يمتثلون لطلبه.

حيث تمكنوا من حفر خندق على مشارف مدينة القاهرة لتحصينها وحمايتها من دخول الإنجليز إليها.[1]

وبدوره محمد علي باشا لما أراد السفر إلى مدينة رشيد لمقاومة الإنجليز هناك، طلب من مشايخ وعلماء الأزهر أن يجمعوا له المال اللازم الذي يمكنه من توفير مختلف الاحتياطات الممكنة من أسلحة ودواب ومؤن وغيرها، حيث استجاب مشايخ وعلماء الأزهر لطلب محمد علي باشا، وتمكنوا من توفير المال اللازم الذي احتاجه بمساعدة من طرف الشعب المصري.[2]

فقد عاد أمر مساندة مشايخ وعلماء الأزهر لمحمد علي باشا بالنتائج الايجابية عليه، حيث تمكن هذا الأخير من هزيمة الحملة الانجليزية في رشيد بتاريخ 21 مارس 1807م، مما جعل الإنجليز يتقهقرون ويتوجهون إلى مدينة الحماد، حيث أراد الجنرال فريزر بذلك محو آثار الهزيمة النكراء التي منيت بها قواته في مدينة رشيد، إلا أن الحملة عرفت نفس المصير الذي آلت إليه في رشيد، حيث تمكن المصريون من الفوز على قوات الجنرال فريزر، وتم محاصرة الحملة الإنجليزية، ولم يتم الإفراج عنها إلا بعد توقيع إتفاق بين محمد علي باشا والجنرال فريزر في 14 سبتمبر 1807م، قضى بجلاء الإنجليز من الإسكندرية مقابل استرجاعهم لأسراهم، وفي يوم 19 سبتمبر 1807م تم جلاء الإنجليز عن مدينة الإسكندرية نهائيا.[3]

---

[1] جرجي زيدان، مرجع سابق، ص154.

[2] الجبرتي عبد الرحمان، **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس**، مصدر سابق، ص ص79-80.

[3] أبو الفضل محمد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص34.

وبذلك فقد عاد أمر الحملة الإنجليزية على مصر بالمنافع الكثيرة على محمد علي باشا، حيث تمكن من دخول مدينة الإسكندرية دخول الفاتح الذي ينتظره الشعب المصري وبالتالي تمكن من توطيد نفوذه وسيطرته بداخل مصر، وذلك بعدما كانت مدينة الإسكندرية خارجة عن نطاق حكمه قبل مجيء الحملة الإنجليزية إليها، وذلك بعدما توجه إليها خورشيد باشا أثناء انسحابه من مدينة القاهرة.[1]

لكن الفضل في كل تلك الانتصارات التي حققها محمد علي باشا يعود إلى دور مشايخ وعلماء الأزهر الذين ساندوه بكل ما استطاعوا عليه من اجل تثبيته في حكم مصر، ظنا منهم أنه الشخص الذي طالما كانوا يبحثون عليه ليسلموه ثقتهم وينصبوه حاكما عليهم.

ج- انقلاب محمد علي باشا على مشايخ وعلماء الأزهر:

بعدما تخلص محمد علي باشا من أمر الحملة الإنجليزية الموجهة إلى مصر، استغل الأمر لصالحه، ليضفي على نفسه قمة القوة والعظمة، ناسبا الانتصارات التي حققها والمكانة التي تمكن من بلوغها داخل مصر إلى نفسه، متجاهلا بذلك الدور البطولي الذي قام به كل من مشايخ وعلماء الأزهر الشريف إضافة إلى أبناء الشعب المصري الذين لم يبخلوا عليه بمساعداتهم، من أجل أن يحقق محمد علي باشا كل ما وصل إليه.[2]

حيث بدأ يشعر بالانزعاج من نفوذ مشايخ وعلماء الأزهر خاصة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، ناسيا أنهم لم ينصبوه واليا على مصر إلا بعدما وافق هو على أن يعود إليهم في كل ما يتعلق بأمور الحكم على أساس أنهم هم من نادى به لأن يكون واليا على مصر، وساعدوه في تقلد منصبه الذي وصل إليه.

---

[1] عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1922م**، مرجع سابق، ص230.

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص163.

ومن هنا بدأ محمد علي باشا يفكر في إبعاد مشايخ وعلماء الأزهر عن الدور الريادي الذي اعتاده عليه الشعب المصري، وفي مقدمتهم السيد عمر مكرم.

فقد نجح في إثارة التنافس على المناصب بين شيوخ الأزهر، كمقدمة لعزلهم عن الدور السياسي الفعال الذين كانوا هم أصحاب القرار في كل ما يتعلق به، ومن جهة أخرى أظهر محمد علي باشا عدم اهتمامه بجامع الأزهر، حيث أهمل دوره الديني والتعليمي الذي كان يقوم به، حيث أقام بدلا منه نظامه التعليمي الحديث الذي يتماشى وفقا للنظام الأوروبي، كما فرض الضرائب الباهظة على مختلف الأوقاف المحبوسة لصالح جامع الأزهر، وكان كلما احتاج إلى الأموال اتجه إلى أموال الأوقاف المخصصة لتمويل جامع الأزهر والعناية به فقط، وأخذ منها ما هو بحاجة إليه، الأمر الذي دفع بمشايخ وعلماء الأزهر يثورون على الوضع، حيث اجتمعوا كلهم في محاولة منهم لإقناع محمد علي باشا عدم المساس بالأوقاف المحبوسة لصالح جامع الأزهر.[1]

إلا أن محمد علي باشا رفض مطالبهم وخاطبهم بلهجة شديدة، رافضا كل الأوامر التي أملوها عليه، حيث خان بذلك الاتفاق الذي تم بينه وبين مشايخ وعلماء الأزهر.[2]

وهو الأمر الذي جعلهم يجتمعون مرة أخرى، حيث طلب السيد عمر مكرم نقيب الأشراف بعزله من منصبه، لكن سرعان ما علم محمد علي باشا بما يدبروه له مشايخ وعلماء الأزهر، حيث قرّر عزل عمر مكرم من نقابة الأشراف وأعلن نفيه إلى دمياط، وهنا أجابه السيد عمر مكرم قائلا: "أما منصب النقابة فإني راغب عنه وزاهدا فيه، وليس فيه إلا

---

[1] المرجع نفسه، ص164.

[2] الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج4، مصدر سابق، ص50.

المتاعب، وأما النفي فهو غاية مطلوبي لأرتاح من هذه الورطة، ولكن أريد أن أكون في بلد لا يدين بحكم محمد علي".[1]

وفي 13 أوت 1809م تم نفي السيد عمر مكرم إلى دمياط من طرف محمد علي باشا، وبعد تمكنه من نفيه، لم يجد صعوبة في التخلص من البقية من شيوخ وعلماء الأزهر، حيث أنه بعد نفي السيد عمر مكرم اختفت زعامة شيوخ وعلماء الأزهر من الساحة السياسية لمصر، وخلا الجو بذلك لمحمد علي باشا للتصرف في أمور حكمه بعيدا عن أية مراقبة أو قيد،[2] بعدما استمال بعضهم عن الآخر وأثار التنافس بينهم على منصب مشيخه الأزهر.[3]

فلم يكن محمد علي باشا بمستوى الثقة التي وضعها فيه الشعب المصري بقيادة شيوخه وعلمائه، مخفيا كل أساليب المكر والخداع إلى أن أحكم سيطرته في مصر، حيث باشر سياسته الاستبدادية متحررا من كل القيود.

4- إصلاحات محمد علي باشا وعلاقته بالماسونية:

أ. إصلاحات محمد علي باشا:

أدرك محمد علي ببصيرته ومقدرته التي كان يتميز بها من خلال التعرف على نقاط قوة وضعف من يتعامل معهم وحسن استغلالها لصالحه، أن يتمكن من التعرف على رغبة الشعب المصري في التخلص من الرواسب السيئة التي خلفتها الحملة الفرنسية بعد جلائها من مصر، فبعد أن تمكن من تسلم مقاليد الحكم بمصر سعى إلى تغيير أوضاع المجتمع

---

[1] نفسه.

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص165.

[3] نفسه.

المصري في شتى المجالات بمختلف أساليب التحديث التي توفر للمصريين الحياة الكريمة وكانت المجالات التي اعتمد فيها محمد علي باشا أساليب الإصلاح هي:

- **الإدارة:**

حيث كان أول عمل قام به هو تخصيصه مجلسا لنفسه، كانت تتم فيه مختلف المداولات بحظور جميع أعضائه والتي تتعلق بمناقشة مختلف الأمور والقضايا التي تخص الحكومة قبل الشروع في تنفيذها.[1]

كما وضع لكل فرع من فروع الإدارة مجلسا من الأخصائيين حيث تمكن محمد علي باشا من وضع مجلس للحرب وللبحرية، ومجلس للزراعة وآخر للتعليم ومجلس للصحة، كما وضع مجلسا يضم في رحابه إدارة شؤون مختلف تلك المجالس الفرعية التي أقامها وهو مجلس الحكومة.[2]

كما أنشأ الديوان العالي وهو بمثابة الحكومة، وقام بتأسيس دواوين خاصة تعد بمثابة الوزارات مثل ديوان الحربية والبحرية والتجارة.

وبعدها قام بتقسيم مصر إلى سبعة مديريات على رأس كل منها مدير، وقسم كل مديرية إلى مراكز.[3]

- **الجيش:**

في هذا المجال سعى محمد علي باشا إلى تكوين دعامة جيش منظم يكون له شأن عظيم في المستقبل، حيث اعتمد على أخصائيين وضباط فرنسيين في تكوينه بمختلف

---

[1] حسنين إبراهيم محمد، **تاريخ الدولة العثمانية**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2013، ص267.

[2] صبري محمد، مرجع سابق، ص48.

[3] صبري محمد، مرجع سابق، ص48.

الأساليب المتطورة، حيث بدأ في الأول بتأهيل أبناء جلدته من الألبانيين، وبعدها عمل على ضم المماليك ضمن جيشه من خلال القيام بتدريبهم ليكتسبوا مهارات الدفاع والهجوم المنظم.[1]

كما استقدم العديد من المصريين إضافة إلى عدد من السودانيين إلى جيشه رغبة منه في تطوير جيشه من ناحية العدد أو النوعية أو الفنون القتالية، وبعدها قام بإنشاء العديد من المدارس لتعليم فنون المدفعية ومختلف أركان الحرب والمشاة.[2]

ثم قام بإرسال عدة بعثات عسكرية إلى أوروبا لتعلم أحدث أساليب القتال، واقتباس مختلف الفنون العسكرية الحديثة، وبعدها اتجه إلى إنشاء أسطول حربي قوي وكبير، من خلال شرائه العديد من السفن، واعتمد في ذلك على مهندس بحري فرنسي سمي سريزي، حيث أن محمد علي باشا لم تكن رغبته متوقفة عند إنشاء جيش كبير فحسب، وإنما كان يسعى إلى تدريبه على أحدث النظم الحربية المتطورة.[3]

إلا أن طريقه في ذلك لم يكن سهلا حيث وجد معارضة من داخل مصر، فقد اعترضته عدة عقبات، لأن المصريين لم يتقبلوا تجنيدهم في الجيش، بالإضافة إلى معارضة العلماء الذين كان لهم دور في جعل المصريين يمتثلون لأوامرهم.[4]

ومن ثم اتجه مباشرة إلى أوروبا وبالضبط إلى فرنسا، حيث كان عدد كبير من الضباط الفرنسيين ممن شاركوا في الحملة الفرنسية على مصر، قد أصبحوا بلا عمل بعد إخفاق الحملة في مصر وبعد توتر الأوضاع بفرنسا، أين قرّر محمد علي باسا جلب عدد منهم إلى

---

[1] سيار الجميل، مرجع سابق، ص340.

[2] صبري محمد، مرجع سابق، ص45.

[3] حسنين إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص269.

[4] طه جاد، مرجع سابق، ص67.

مصر ليتولوا مهمة تدريب جيشه، لأنه كان يرى في الجيش الفرنسي جيشا نظاميا تتوفر فيه كل مميزات الجيش القوي.[1]

فقد كانت مختلف تلك الإجراءات التي قام بها محمد علي باشا لتحديث جيشه أثرت بشكل أو بآخر على المجتمع والاقتصاد المصري نظرا لتضخم الجيش مما جعله يستنزف الجزء الأكبر من موارد البلاد وإرهاق كاهل الفلاحين بالضرائب الباهظة، لكن ذلك عاد بالإيجاب من جهة الجيش على الرغم من تأثيره سلبا على الشعب المصري، فبعدما كان محمد علي باشا يشتري السفن من فرنسا وغيرها من البلدان الأجنبية كإيطاليا وإسبانيا، أصبحت بعد مختلف الجهود التي قام بها تصنع في مصر، وبذلك عمل على إنشاء أسطول صغير في البولاق على النيل بالقاهرة، نقلت أجزاءه بعد ذلك إلى ميناء السويس،[2] وبالتالي أصبح الجيش في عهد محمد علي باشا عنوانا لوحدة البلاد حيث انتظم في صفوفه مختلف طوائف المجتمع المصري، فقد اشترك فيه الفلاحين وأبناء المدن والحرفيين والتجار، حيث أصبح كلهم يشعرون بروح الانتماء إلى وطن واحد، وقد سمي الجيش الذي كوّنه محمد علي باشا بالنظام الجديد، حيث كان له أثرا كبيرا في تكوين مصر الحديثة، وبسببه تعوّد المصريون على أمر النظام، بعدما كانوا منغمسين في معترك الفتن والاضطرابات.[3]

- **الزراعة:**

لقد اعتبر محمد علي باشا الأرض مصدرا للثروة الأساسية، فقرّر السيطرة عليها وإعادة تنظيمها وتوزيعها، حيث عمل في البداية على إلغاء نظام الالتزام واستولى على الأراضي

---

[1] حسنين إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص269.

[2] طربين أحمد، **تاريخ المشرق العربي**، (د.ن.)، دمشق، 1996، ص58.

[3] طربين أحمد، مرجع سابق، ص ص 59-60.

الزرقة،[1] ووزع مختلف الأراضي التي كان قد أعادها إلى الدولة على القادرين على استثمارها، وأعطى لهم حق التصرف والمنفعة بها لا حق امتلاكها، حيث شعر الفلاح المصري لأول مرة أنه عضو في الدولة والمجتمع، لكن في المقابل ذلك كان محمد علي باشا هو المالك الوحيد لمعظم الأراضي الزراعية، وأخذ يوزعها على المقربين منه وكبار الموظفين من الذين يشغلون مناصب هامة في الدولة، حيث سميت تلك الأراضي باسم الجفالك،[2] أما الأراضي التي وزعها على أفراد حاشيته وقواده المخلصين فسميت باسم الأبعاديات.[3]

كما أنشأ محمد علي باشا ديوانا للزراعة في محاولة منه لتطويرها وذلك سنة 1815م، وعمل على جلب مزارعين ماهرين في ميدان الزراعة من بلاد الشام بغرض تطوير مشروعه التحديثي، كما أدخل زراعة المحاصيل الجديدة التي من شأنها أن يكون لها مردود يعود على محصول البلاد بالفائدة.

وواصل محمد علي باشا إصلاحه للزراعة، فنظم الري من أجل حسن استغلال المياه التي تلعب الدور الأساسي في نمو المحاصيل الزراعية على اختلافها، كما قام بإلغاء الضرائب التي تعتبر إضافية والتي كان يفرضها الملتزمون من الفلاحين، وضمّها إلى الضريبة العادية التي فرضها على الأرض من الفوائد المتحصل عليها من خلالها.[4]

---

[1] أراضي الزرقة: وهي الأراضي المعطاة لكبار رجال الدولة... (أنظر: عبد المنعم شعيب علي، مرجع سابق، ص108).

[2] الجفالك: معناها باللغة التركية ملك، وهي مقدار من الأراضي التي تمنح إلى أفراد عائلة محمد علي باشا... (أنظر: المرجع نفسه، ص109).

[3] الأبعاديات: هي الأراضي البور التي استثنيت من دفع الضريبة... (أنظر: الإسكندري عمر، مرجع سابق، ص63).

[4] حسنين إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص270.

كما عمل محمد علي باسا على إدماج مصر في الاقتصاد الأوروبي كمورد للسلع الزراعية، حيث أدخل إلى البلاد زراعة القطن، بعد أن قام بتحويل هذه الزراعة من نبات للزينة في معظم الأحيان إلى نبات محصولي تعتمد عليه البلاد في منتوجها، وقام باستيراد بذور القطن من الهند، فكانت كل تلك الإجراءات من محمد علي باشا على أن أصبح القطن هو المحصول الأساسي في ثروة مصر الزراعية، حيث توسع في زراعته وحث الفلاحين على تطويرها، بعدما أمدهم بالبذور وأدوات الزراعة اللازمة، من أجل تشجيعهم على العمل وتطوير المحاصيل الزراعية.[1]

كما اهتم محمد علي باشا بتكوين البساتين والعمل على العناية بها مما جعلها تتطور بشكل كبير في عهده لتعم مختلف أرجاء مصر،[2] وقد عمل محمد علي باشا على تصنيف مختلف الأراضي طبقا لنوع وطبيعة المحصول الزراعي في المنطقة، حتى يكون لها مردود يعود بالفائدة على خزينة البلاد.

فقد نجح محمد علي باشا في إجراءاته المختلفة التي قام بها، حيث حقق العديد من التحولات الإيجابية الواسعة في مصر، إلا أنه في المقابل كانت تلك التغييرات التي قام بها في سبيل حيازة الأراضي الزراعية، لم تعد على البلاد بالفوائد الكبيرة، وبالتالي لا تعتبر إصلاحات حقيقية قام بها، لأنه أخذ تلك الأراضي من ملاكها القدامى، وأعاد توزيعها على مؤيدي نظامه الجديد.[3]

- **الصناعة:**

---

[1] الرجبي خليل بن أحمد، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تحقيق دانيال كريسيليوس، وآخرون، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997، ص98.

[2] الإسكندري عمر، مرجع سابق، ص153.

[3] عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص ص 192–193.

لما رأى محمد علي باشا في الصناعة دعامة أساسية للنهوض باقتصاد البلاد، اتجه إلى تحديث الصناعات القديمة التي كانت موجودة في مصر كالنسيج والغزل، حيث حققت هذه الأخيرة نجاحا وتميزا كبيرين حتى أصبح لها رواجا حتى في الدول الأوروبية، إضافة إلى سعيه وراء تحديث صناعة الزجاج والورق.[1]

كما اهتم محمد علي باشا بالصناعات العسكرية، حيث أقام مصنع لصب الحديد والمعادن، مما من شأنه أن يخدم الأسطول الذي كان يسعى إلى تطويره، وقام بتأسيس مصنع للمدفعية وآخر للأسلحة من أجل تطويرها، وأنشأ أيضا مصنعا للبارود، حيث كانت جميعها على النمط الأوروبي الحديث،[2] هذا وإن دلّ فإنما يدلّ على تأثّره بالحضارة الغربية كل التأثر مما جعله يخطوا خطاها في سبيل التقدم والازدهار.

واهتم أيضا بصناعة الأواني الفخارية وغيرها من الصناعات التقليدية، حيث قام ببناء عدة مصانع في مختلف أنحاء مصر بهدف النهوض بها من جديد، وعمل على إنشاء مصانع أخرى أيضا حيث أسس مصنع لغزل الصوف، وآخر للسكر، هذا بهدف الاعتماد على منتجات البلاد الداخلية في المستقبل القريب.[3]

- **التجارة:**

في هذا المجال سعى محمد علي باشا منذ البداية إلى تطبيق نظام الاحتكار، وكان على نوعين داخلي وخارجي، أما الداخلي فقد كان محمد علي باشا يقوم باقتسام مع الفلاحين جميع ما تنتجه الأرض من محصولات زراعية، حيث يكون له النصيب الأكبر فيها، أما فيما

---

[1] الجمل شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، دار الثقافة، القاهرة، 1997، ص149.

[2] الجمل شوقي عطا الله، **تاريخ مصر والسودان الحديث و المعاصر**، مرجع سابق ،ص150.

[3] أبو الفضل محمد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص144.

يخص الاحتكار الخارجي فهو الذي بمقتضاه سيطر محمد علي على التجارة الخارجية، خضعت جميع المحاصيل الزراعية لنظام الباشا الاحتكاري، حيث كانت تجارة القمح أول خطوة فكّر فيها محمد علي لتطبيق خطته، لأن تجارة القمح مع أوروبا وخاصة الإنجليز كانت تمثل أهم مورد في عهده، حيث تعامل معهم على الرغم من معارضة الدولة العثمانية، مما أكسبه أرباحا طائلة.[1]

ولم يكتفي محمد علي باشا من احتكار القمح فحسب بل عمل على احتكار مختلف المنتوجات مثل الفول والشعير بالإضافة إلى السمن والزيت والخضروات وغيرها، مما جعله يحقق أرباحا وفيرة من خلال نظام الاحتكار الذي طبقه ومكنه من الحصول على الثروة الكبيرة التي أعانته في إصلاحاته بحيث أصبح هو التاجر الأول في الدولة.[2]

كما حضي قطاع المواصلات باهتمامه أيضا، إذ أسس شركة ملاحية مصرية وطور ميناء الإسكندرية، واهتم بتحديث الطرق البرية، حيث أعاد فتح الطريق البري بين القاهرة والسويس، ومد السكة الحديدية في مناطق عدة من مصر.[3]

- **التعليم:**

لقد حظي التعليم باهتمام كبير من طرف محمد علي باشا، حيث قام بتأسيس العديد من المدارس الحديثة وأدخل في مناهجها العلوم الحديثة واللغات الأجنبية،[4] كما أرسل العديد من البعثات العلمية التي تتكون من العديد من الطلبة إلى مختلف الدول الأوروبية، حيث بلغ عدد الطلبة الذين أرسلهم محمد علي باشا سنة 1813م إلى غاية سنة 1847م 319 طالب،

---

[1] هريدي صلاح أحمد، مرجع سابق، ص47

[2] أبو الفضل محمد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص149.

[3] صبري محمد، مرجع سابق، ص55.

[4] الجمل شوقي عطا الله، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص143.

على اختلاف تخصصاتهم بين اللغات والهندسة والطب والآداب، وهذا ما يفسر التأثر البليغ لمحمد علي باشا بالفكر الغربي الأوروبي.[1]

استعان محمد علي باشا بالعديد من الخبراء الأوروبيين الذين جلبهم خاصة من فرنسا، لتكوين أجيال على قدر مهم من العلم والمعرفة.[2]

كما قام بإنشاء العديد من المدارس، حيث أسس مدرسة للهندسة وأخرى متخصصة في الطب سنة 1827م، ثم اتجه إلى الصحافة، وقام بإصدار أول صحيفة رسمية باللغة العربية وهي الوقائع المصرية سنة 1828م، ثم أصبحت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وقام بإصدار الجريدة العسكرية سنة 1833م التي قامت بنشر أخبار الجيش الذي كونه محمد علي باشا ومختلف نشاطاته،[3] حيث أنه نهض بالتعليم إلى الأفق إذ جعل المجتمع المصري يطلع على ما هو جديد وما من شأنه أن يغير أسلوب حياته إلى الأحسن والأفضل.

- **الترجمة:**

لقد اهتم محمد علي باشا بالترجمة من أجل نقل علوم الغرب وفنونه إلى لغات يفهمها طلبة المدارس بمعنى اللغة العربية، فقد كانت تطبع تلك الفنون في مطبعة بولاق، حيث أسهمت حركة الطباعة تلك في نشر الثقافة الحديثة، وأصبحت جريدة الوقائع المصرية محطة للعديد من الكتاب المصريين والعديد من السياسيين، وساهمت في ظهور جيل من الشباب المصريين المتشبعين بالفكر الحر الجديد.[4]

---

[1] حسنين إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص268.

[2] سيار الجميل، مرجع سابق، ص349.

[3] نمير طه ياسين، مرجع سابق، ص81.

[4] طبرين أحمد، مرجع سابق، ص ص 80-82.

وبذلك قضى محمد علي باشا على رواسب الفكر القديم لدى المصريين، مستبدلا إياه بكل ما هو جديد متخذا من فرنسا مثالا للرقي والإزهار، حيث لعبت الترجمة دورا هاما في تطوير نظام التعليم، من خلال نقل العديد من المحاضرات التي كانت تلقى بالفرنسية إلى اللغة العربية.[1]

فقد كانت حركة الترجمة التي ظهرت بمصر لها دور كبير في تكوين جيل من الشباب المثقفين ثقافة غربية، وإن كانت ليست بالمفهوم العميق، فإنها أظهرت ميولاتها إلى كل ما هو أوروبي وحديث.

ب- علاقة محمد علي باشا بالماسونية:

ففي هذه الفترة فقد الأزهر دوره الريادي وأصبح يكتفي فقط بتقديم دروس ومحاضرات في علوم اللغة وعلوم الدين، وفي هذه المرحلة من تاريخه برز فيه أحد الشيوخ وهو حسن العطار الذي يقول عنه بعض الكتاب أنه من المفتونين بالحضارة الغربية، وكان هو من اقترح على محمد علي باشا إرسال رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا وهو أحد الطلاب بجامع الأزهر ليكون إماما للبعثة العلمية أرسلها محمد علي إلى فرنسا، حيث تعتبر هذه هي بداية عزل جامع الأزهر وترويضه وفق ما يشاء محمد علي باشا، فربما من كان وراء هذا الأخير لتحييد جامع الأزهر وإبعاده عن الحياة السياسية هي الحركة الماسونية؟

إن مختلف إصلاحاته التي قام بها في شتى المجالات داخل مصر، غطّت الكثير من عيوبه، والتي أسهم العديد من الكتاب في إظهارها والتطرق إليها، حيث وصفوا محمد علي باشا على أنه شخصية سيئة السمعة، معروفا بالقسوة ومحبا للشهرة إلى حد الجنون، فقد سعى إلى تحقيق أحلامه على حساب أبناء مصر الذين دفعوا ثمنا باهظا جراء تعاونه مع الفرنسيين ومحاولته الانفراد بمصر، ففي هذا الصدد وصفه المؤرخ الجبرتي قائلا: "هو

[1] الزيدي مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مرجع سابق، ص189.

مخادع وكذاب، يحلف الأيمان الكاذبة، ظالم لا عهد له ولا ذمة، يضمر السوء واستخدم العنف والجور في نفس الوقت الذي يعد فيه بالعدل، لا يخفف عن عسفه وظلمه واستبداده واستجداء شيخ، ولقد دعت هذه الصفات البعض بأن يصور محمد علي بأنه ميكافللي، أو أنه تعلم على فكره".[1]

فقد اتبع محمد علي باشا سياسة الظلم والقهر ضد الشعب المصري بحيث لم يتوانى في إضطهاد الفلاحين بمختلف الطرق، فقد حرّم عليهم أن يعود محصول الأرض إليهم بل إليه، ورفع في أسعار مختلف السلع، وفرض عليهم الضرائب التي أثقل كاهلهم بها، مما جعلهم يكنون له الكره الشديد وأدى ذلك إلى هروب العديد منهم تاركين أراضيهم فرارا من سياسته الظالمة التي لحقت بهم، حيث بلغ عدد الفلاحين الفارين سنة 1831م ستة آلاف جندي.

فمن هنا يتبين أن محمد علي باشا قبل توليه الحكم في مصر، كان يخفي كل تلك الخبايا التي صدم بها أفراد الشعب المصري بعد ذلك، من أجل الوصول إلى ما كان يصبوا إليه، وبعدما تحقق له ذلك لم يتخلف عن إتباع سياسة سابقيه من الولاة العثمانيين والأمراء المماليك الذين لطالما عانى من شرورهما الشعب المصري الويلات الكبيرة، ليقع مرة أخرى فريسة للحاكم الجديد الذي غرّهم بمختلف مظاهر العطف والشفقة التي لم يتقاعس في إظهارها اتجاههم واعدا إياهم بتحسين أوضاعهم على يده.[2]

ورغم كل ذلك إلا أن محمد علي باشا ذهب إلى أخطر من ذلك بكثير، عندما قبل أن تحتضنه قوة خفية، كانت وراء كل ما وصل إليه من قوة في جميع المجالات، ألا وهي الحركة الماسونية التي كانت هيي من تخطط له لتحقيق أهدافه، وفي نفس الوقت تستعمله

---

[1] الصلابي علي محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار الكتاب الحديث، الكويت، 2008، ص ص 410-411.

[2] الحسن عيسى، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، دار الأهلية، بيروت، 2008، ص617.

هي أيضا لتحقيق أهدافها، وهي حركة يهودية الأصل أسسها تسعة من اليهود، من أجل تحقيق الحلم الصهيوني، المتمثل في إنشاء حكومة يهودية عالمية تسيطر على العالم بأسره، حيث أطلقت على نفسها اسم القوة الخفية، تعتمد على السرية والتكتم على مختلف مخططاتها التي استطاعت بواسطتها أن تجذب العديد إليها، من خلال شعارها الظاهري المستند على مبادئ "الحرية، الإخاء، المساواة".

إلا أن أهم مميزاتها هي المكر والخداع وإشاعة الكفر والفساد والرجس في مختلف بقاع الأرض، ومميزها الخطير هو القائم على أساس التشكيك في العقائد والنيل من الأنبياء والرسل عليهم السلام، حيث كان هدفها من كل ذلك هو تخريب العالم دينيا وأخلاقيا واجتماعيا، وكانت بداية انتشارها في مصر مع مجيء الحملة الفرنسية إليها، إذ أنشأ أول محفل ماسوني في القاهرة سمي محفل إيزيسي، وتمكن من أن يضم إليه بعض المصريين، إلا أنه حلّ رسميا بعد مقتل الجنرال كليبر، لكن أعضاؤه ظلوا يعملون في خفاء وسرية تامة رغبة منهم في نشر مثل هذه المحافل من جديد بمصر.

لكن الحملة الفرنسية بمصر لم يكتب لها عمر طويل، وتلك المحافل الماسونية لم تجد متنفسها إلا في عهد محمد علي باشا، حيث وجد دعاتها ضالتهم المنشودة من أجل نشر محافلهم وتغلغل مبادئها في أوساط الشعب المصري.[1]

حيث أن تشبع محمد علي باشا بمبادئها جعله يعتمد عليها من أجل تخريب كيان الدولة العثمانية متعاونا بذلك مع الفرنسيين من دعاتها، والتي احتضنته بمختلف مشاريعها التي قدمتها له ودعمت من كياته وقوته داخل مصر، حيث أنشأت له أسطولا بحريا متقدما،

[1] الجندي أنور، **الموسوعة الإسلامية العربية ،العالم الإسلامي**، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979، ص256.

وجيشا منظما، ولم يكن سبيلها من كل ذلك إلا تنفيذ مخططاتها في مصر والتي كانت قد فشلت الحملة الفرنسية في تحقيقها بسبب اضطرارها للجلاء منها.[1]

كما أن محمد علي باشا خدم هذه الحركة الخطيرة بشكل كبير، وذلك نظرا لما ألحقه بالدولة العثمانية من ضعف وانحطاط والتي حسب لصالحه في تقفي آثارها والسير وفق مبادئها هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان محمد علي باشا من خلال إهانته للإسلام أولا وللعروبة ثانيا ومصر ثالثا قد وضع نقطة سوداء في سجل تاريخه السياسي الذي لطّخه بتعاونه مع أعداء الله والدين، محاولا بذلك نقل مصر خاصة والدولة العثمانية عامة من انتمائها إلى العقيدة الإسلامية، وخروجها عن شريعة الله راسما بذلك دولته الموحدة التي حلم بتحقيقها، إلا أنها كانت بتخطيط أجنبي محظ.[2]

في الأخير يمكن القول أن محمد علي باشا تنكر لمشايخ وعلماء الأزهر الشريف، متناسيا بذلك فظلهم عليه، حيث تخلّى عن مختلف العهود التي سبق وقدّمها لهم، مفضلا قطع اليد التي كانت قد مدت له في يوم من الأيام، لكن كل ذلك لا يخفي حقيقة شيوخ وعلماء الأزهر الذين دافعوا عن دينهم وشعبهم بالنفس والنفيس طيلة أحلك الفترات التي مرت بها مصر، إلى أن جاء من غدر بهم فشتت شملهم، وحدّ من قوتهم، وعزلهم عن أمور السياسة.

---

[1] الحسن عيسى، **تاريخ العرب من بداية الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية الحروب**، مرجع سابق، ص ص 618-620.

[2] الجندي أنور، مرجع سابق، ص 460.

مقدمة

- وفي ختام موضوع بحثنا هذا نستخلص منه أن جامع الأزهر الشريف منذ إنشائه في عهد الدولة الفاطمية سنة (361هـ-972م) لعب عدة أدوار هامة على مدى التاريخ، وذلك في كونه أحد أهم مصادر العلوم الإسلامية، حيث تكون في رحابه أبرز الشيوخ والفقهاء من المتحكمين في أمور الدين والشريعة، هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه في تكوين العديد من العلماء الذين كان لهم الفضل الكبير في تثقيف أفراد الشعب المصري من خلال نظام الحلقات الدراسية التي كانوا يلقونها بداخل الجامع، ورغم مختلف الأزمات التي مر بها جامع الأزهر في الكثير من الفترات إلا أنه ظل محافظا على رسالته التي لم يتخلف في تأديتها متحديا بذلك كل الظروف والأحداث التي كثيرا ما كانت في غير صالحه تعبيرا منه عن أصالة رسالته التي وجد من أجلها، ولما كانت مصر أثناء القرن الثامن عشر تعيش مختلف أوضاع الضعف والتدهور كان شيوخ وعلماء الأزهر هم من تحملوا على عاتقهم مهمة احتواء تلك الظروف المتردية من خلال اشتراكهم في العديد من الثورات إلى جانب أفراد الشعب المصري الذين يئسوا من سياسة الأمراء المماليك الاستبدادية، حيث كان شيوخ وعلماء الأزهر هم من يلوذ بهم الشعب المصري لاسترداد حقوقهم وبالفعل لم يخيبوا هؤلاء ظنه بهم وكانوا في كل مرة يوفقون في مهمتهم، نظرا لما كان لهم من هيبة ونفوذ لدى الحكام المماليك أنفسهم.
- وأثناء تواجد الحملة الفرنسية بمصر منذ سنة (1798م إلى غاية 1801م)، والتي كانت تجربة قاسية مر بها الشعب المصري نظرا لما عانى فيها من تخريب وتقتيل وتنكيل وسط أبنائه، إلا أن الأزهر بقيادة مشايخه وعلمائه كانوا هم من لعبوا الدور الهام والفعال في مواجهة تلك الحملة بمختلف مراحل سيرها بمصر، فبالرغم من مختلف مظاهر الاحترام والتودد التي كان يبديها نابليون بونابرت لهم، من خلال ترقيتهم في المناصب وإحاطتهم بقدر من الأهمية على خلاف كل أفراد الشعب المصري، إلا أنهم لم يتقبلوا حكم أجنبي كافر لبلادهم، فثاروا على الفرنسيين شرّ ثورة توقعوها منهم، حيث كانوا هم من خطط لثورة القاهرة الأولى والثانية، وقاموا بإلهاب مشاعر الشعب المصري ضد الفرنسيين

بمختلف الخطب الحماسية التي تحثهم على واجباتهم في الدفاع عن دينهم ووطنهم، كما كانوا هم من تزعموا تلك الثورات وتحملوا على نطاق واسع مختلف نتائجها، وظلوا كذلك إلى أن تحققت إرادة الشعب المصري في الأخير وجلت الحملة الفرنسية من مصر سنة 1801م.

- وأثناء الفترة التي أعقبت خروج الحملة الفرنسية من مصر، وما ميّزتها من اضطرابات كبيرة في أمور الحكم والسياسة، والتي انعكست بشكل سلبي وخطير على أفراد الشعب المصري الذين تحملوا عواقبها جراء مختلف أنواع الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم من طرف الولاة العثمانيين والأمراء المماليك ما جعلتهم يمرون لفترة من ضيق إقتصادي رهيب صاحبه تدهور كبير في حياتهم الاجتماعية ككل، وهو الأمر الذي جعل مشايخ وعلماء الأزهر يثورون على تلك الأوضاع حيث كانوا يتدخلون في كل مرة لأجل حماية حقوق الشعب المصري المنتهكة.
- كما كان لهم دور هام في تنصيب محمد علي باشا واليا على مصر سنة 1805م، وذلك من خلال مساندتهم له والمناداة به حاكما عليهم، وبعد أن تمت تولية محمد علي باشا على مصر استمروا في دعمهم له، وهو الأمر الذي تجلى بصورة كبيرة أثناء حملة فريزر على مصر والتي كانت سنة 1807م.
- كما كان محمد علي باشا أيضا مثل سابقيه من الولاة العثمانيين والأمراء المماليك حيث سعى وراء الحد من أهمية جامع الأزهر الشريف، من خلال إدخاله لنظم حديثة مست أمور الدراسة فيه على خلاف ما كانت عليه سابقا وجعلها على النمط الأوروبي المتقدم، وإن يحسب ذلك لصالحه ضمن ما حققه من ايجابيات في مصر، إلا أنه كان يهدف من وراء ذلك إلى تكوين فئة بداخل الشعب المصري مثقفة ثقافة أجنبية تكون سندا له وتخدم مصالحه داخل مصر، كما تميز عصره بإهماله الشديد لجامع الأزهر، وذلك من خلال تحكمه في مختلف الأوقاف المحبوسة لصالحه واستغلالها وفق أهوائه هذا بالإضافة إلى تصرفه في الأموال المخصصة للإنفاق على تمويل جامع الأزهر، وهو ما أثار حفيظة

مشايخ الأزهر وعلمائه، مما جعل محمد علي باشا يعمل على إبعادهم عن أمور السياسة والحد من تدخلهم في مختلف القرارات التي يتخذها في مختلف المسائل المتعلقة بأمور الحكم، ولما رأى في السيد عمر مكرم نقيب الأشراف الشخص الذي يثير له الإزعاج من خلال سعي هذا الأخير وراء عزل محمد علي باشا من منصبه، فأراد التخلص منه حيث نفاه سنة 1809م إلى مدينة دمياط، وبذلك كان محمد علي باشا قد تنكر لمشايخ وعلماء الأزهر وحدّ من نفوذهم وأبعدهم عن أمور السياسة والحكم.

- لكن محمد علي باشا لم يكن بمستوى تلك الثقة الكبيرة التي وضعها فيه مشايخ وعلماء الأزهر إذا انقلب هذا الأخير عليهم بعدما استغل كل الظروف لصالحه ووطد أمور حكمه بمصر، وذلك من خلال تعاونه في البداية مع المنظمة الماسونية اليهودية والتي تشبع بأفكارها وكانت هي القوة الخفية التي دعمته للوصول إلى ما يصبوا إليه من قوة ونفوذ، وفي المقابل خدمها هو كذلك من خلال سعيه وراء تحطيم الهوية الإسلامية في مصر وإبعادها عن نطاق حكم الدولة العثمانية في محاولة منه للانفراد بها لوحده ولصالح أبنائه من بعده.
- إلا أن كل ذلك لا ينقص ولا يخفى فضل مشايخ وعلماء الأزهر الكبير على الشعب المصري في مختلف المراحل التي مرّ بها، حيث كانوا هم من يدافعون عن حقوقه ويسعون وراء رفع المظالم عنه، فبذلك تجلّت فيهم أروع صور الدفاع في سبيل الحفاظ على دينهم وحرية وطنهم.

الملاحق

ملحق رقم 01:

صورة لجامع الأزهر

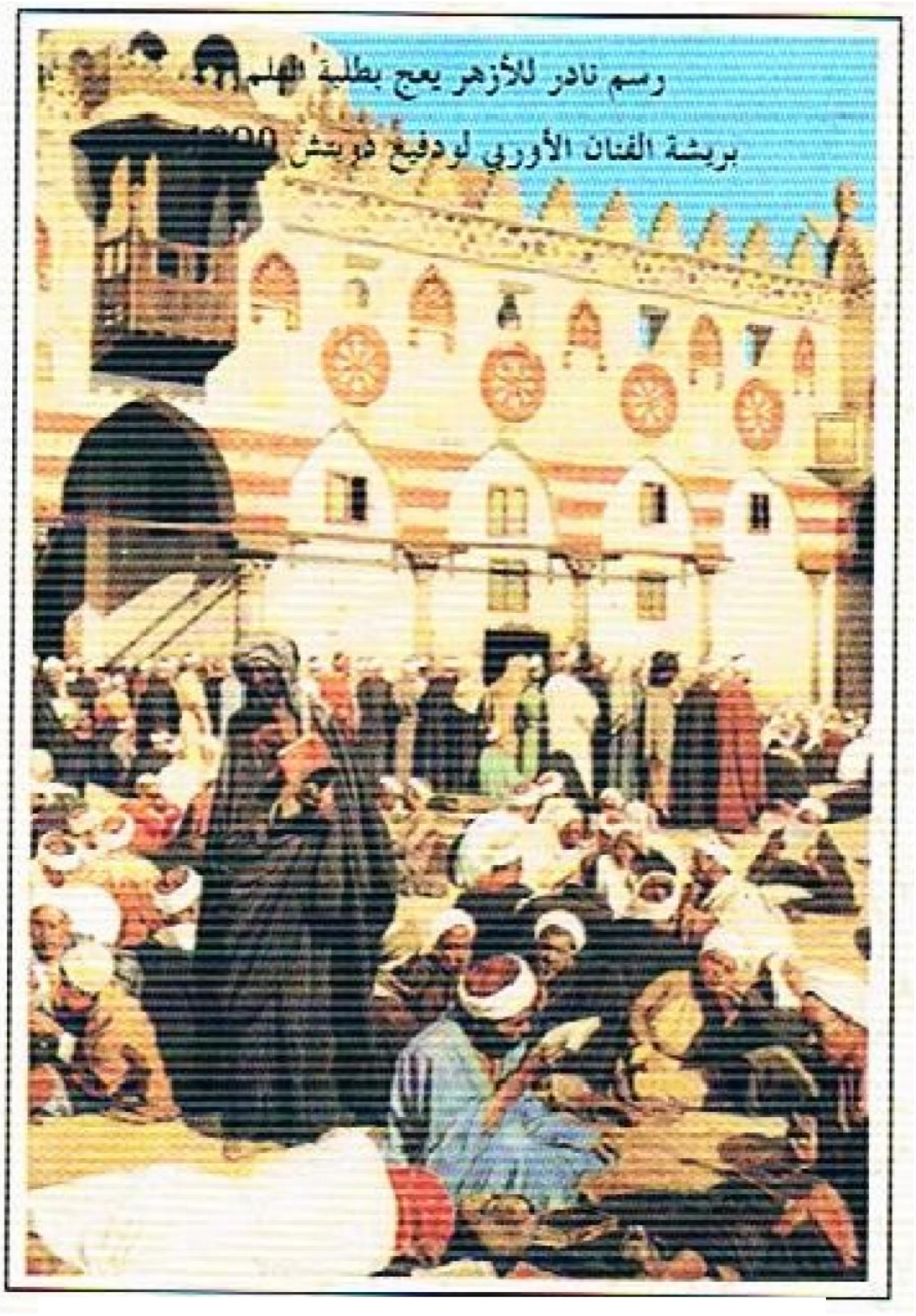

نقلا عن: حلمي الغوري إبراهيم، أطلس تاريخ العرب والإسلام، دار الشرق العربي، بيروت، ط4، 2009، ص106.

ملحق رقم 02:

صور لمشايخ جامع الأزهر

نقلا عن: يانج جورج، مرجع سابق، ص36.

ملحق رقم 03:

صورة نابليون بونابرت

نقلا عن: حلمي الغوري إبراهيم، أطلس التاريخ الحديث، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، 2009 ، ص108

ملحق رقم 04:

خريطة سير الحملة الفرنسية في مصر

نقلا عن: حلمي الغوري إبراهيم، أطلس التاريخ الحديث، مرجع سابق، ص108

ملحق رقم 05:

صورة محمد علي باشا

نقلا عن: حلمي الغوري إبراهيم، أطلس التاريخ الحديث، مرجع سابق، ص115.

البيبليوغرافيا

1-قائمة المصادر:

1. إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية**، مؤسسة المختار، (د.م.)، 2004.
2. الترك نقولا، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**، تحقيق ياسين سويد، دار الفرابي، بيروت، 1990.
3. الجبرتي عبد الرحمان، **المختار في تاريخ الجبرتي**، اختيار محمد قنديل البقلي، دار الشعب، الإسكندرية، ط2، 1993.
4. الجبرتي عبد الرحمان، **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس**، تحقيق عبد الله الرزاق عبد الرازق عيسى، مطبعة النيل، الجيزة، 1998.
5. الجبرتي عبد الرحمان، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، 3، 4.
6. الرجبي خليل بن أحمد، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تحقيق دانيال كريسيليون وآخرون، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1997.

2- قائمة المراجع العربية والمعربة:

أ. المراجع العربية والمعربة:

1. الأنصاري ناصر، **مجمل تاريخ مصر**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1997.
2. الأيوبي إلياس، **محمد علي سيرته وأعماله وآثاره**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.م.)، 2002.
3. الإسكندري عمر، حسن سليم، **تاريخ مصر في الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1996.
4. برج محمد عبد الرحمان، **التاريخ العربي الحديث والمعاصر**، دار التعليم الجامعي، (د.م.)، 2010.

5. بيات فاضل، **الدولة العثمانية في المجال العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
6. الجمل شوقي عطا الله، **الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.
7. الجمل شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، دار الثقافة، القاهرة، 1997.
8. الحسن عيسى، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، دار الأهلية، بيروت، 2008.
9. حسنين ابراهيم محمد، **تاريخ الدولة العثمانية**، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، 2013.
10. حمودة عبد الحميد حسن، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007.
11. خفاجي محمد عبد المنعم، **الأزهر في ألف عام**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2، ج1، 1988.
12. زكار سهيل، **تاريخ بلاد الشام في القرن 19**، دراسات التكوين، دمشق، 2006.
13. زيدان جرجي، **تاريخ مصر الحديث**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج2، 1999.
14. الزيدي مفيد، **المبسط في تاريخ العرب الحديث 1517-1916**، دار المناهج، (د.م.)، 2004.
15. سالم السيد عبد العزيز، سالم سحر السيد عبد العزيز، **تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007.
16. سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**، دار النهضة العربية، بيروت، 2003.
17. سليمان محمد، **دور الأزهر في السودان**، (د.ن، د.م.)، 1985.

18. سوادي هاشم هشام، **تاريخ العرب الحديث 1516-1918**، دار الفكر، (د.م.)، 2010.

19. سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، (د.ن، د.م.)، 1997.

20. الشناوي عبد العزيز محمد، **صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر أواخر القرن 18**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1971.

21. صباغ ليلى، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1982.

22. صبري محمد، **تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1996.

23. الصلابي علي محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار الكتاب الحديث، بيروت، 2008.

24. الصلابي علي محمد، **الدولة الفاطمية**، مكتبة الحسين العصرية، بيروت، 2009.

25. ضيفي عبد النعيم عثمان، **تاريخ مصر من العصر الفرعوني حتى العصر الحديث**، دار الرشاد، القاهرة، 2008.

26. طربين أحمد، **تاريخ المشرق العربي**، (د.ن، د.م.)، دمشق، 1996.

27. طه جاد، **معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دار الفكر العربي، (د.ن، د.م.)، 1998.

28. طهبوب فائق، حمدان محمد سعيد، **تاريخ العالم الحديث والمعاصر**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008.

29. عبد الجواد صابر إسماعيل، **دور الأزهر السياسي في مصر إبّان الحكم العثماني**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996.

30. عبد الرحمن زكي، **تاريخ مصر الحديث**، مكتبة مدبولي القاهرة، ج2، 1999.

31. عبد العزيز محمد عادل، **انهيار الخلافة العثمانية وتوابعه**، دار غريب، القاهرة، 2007.

32. عبد المنعم شعيب علي، **التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفرابي، بيروت، 2005.

33. عرابية عبد الكريم محمود، **تاريخ العرب الحديث**، دار الأهلية، بيروت، 1984.

34. عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ المشرق العربي، 1516-1922**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ن، د.م.).

35. عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1922**، دار المعرفة الجامعية، (د.ن، د.م.)، 2002.

36. عمر عمر عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت، 1990.

37. عمر عمر عبد العزيز، وآخرون، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، (د.ن، د.م.)، 2006.

38. عوف أحمد محمد، الأزهر في ألف عام، **سلسلة البحوث الإسلامية**، القاهرة، 1970.

39. عويس عبد الحليم، **أوراق ذابلة من حضارتنا**، مؤسسة عبد الحكيم لعرابة، الجزائر، ط2، (د.ن، د.م.).

40. غربال محمد شفيق، **محمد علي بك الكبير**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

41. غربي غالي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ن، د.م.).

42. قدورة زاهية، **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ن، د.م.).

43. أبو الفضل محمد عبد الفتاح، **الصحوة الإسلامية في عهد محمد علي**، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ن، د.م.)، 1999.

44. كشك محمد جلال، **ودخلت الخيل الأزهر الزهراء للإعلام العربي**، (د.ن، د.م.)، ط3، 1990.

45. محمود عباس أحمد عبد الرحمان، **الأزهر وإفريقيا**، الدار العالمية، (د.ن، د.م.)، 2004.

46. مصطفى أحمد عبد الرحيم، **تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة**، مطبعة الجبلاوي، (د.م.)، 1972.

47. نمير طه ياسين، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر، عمان، 2010.

48. نوار عبد العزيز سليمان، **النهضة العربية الحديثة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م.)، 2002.

49. نوار عبد العزيز سليمان، **تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت.).

50. نوار عبد العزيز سليمان، **تاريخ مصر الاجتماعي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988.

51. هريدي صلاح أحمد، **تاريخ مصر الحديث**، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، 2009.

52. هنري لورنس، **الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام**، ترجمة بشير السباعي، دار الجبل، مصر، 1995.

53. ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكات، الرياض، 1997.

54. ياغي إسماعيل أحمد، **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مكتبة العبيكات، الرياض، ط2، 2003.

55. ياغي إسماعيل أحمد، شاكر محمود، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، مكتبة العبيكات، الرياض، ج2، 2006.

56. يانج جورج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، ترجمة شكري علي أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1997.

ب. المراجع باللغة الأجنبية:

1. Bertrand, **Guerre d`orient campagnes d`egypte et de surie 1798-1799**, Bibliotchec monacensis, paris, 1847,P 314,

3-الرسائل الجامعية:

1. دوداي سهام، سليمة حملاوي، **التنافس الفرنسي الإنجليزي على مصر 1798-1898م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، إشراف الأستاذة وهيبة قطوش، جامعة خميس مليانة، 2012-2013م.

4- الموسوعات والقواميس والأطالس:

1. بكر محمد إبراهيم، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مركز الراية، (د.م.)، 2006.
2. الجندي أنور، **الموسوعة الإسلامية العربية**، العالم الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979م.
3. حلمي الغوري إبراهيم، **أطلس التاريخ الحديث**، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، 2009.
4. حلمي الغوري إبراهيم، **أطلس تاريخ العرب والإسلام**، جار الشرق العربي، بيروت، ط4، 2009.
5. الزيدي مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، دار أسامة، الأردن، 2006.
6. الزيدي مفيد، **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، دار أسامة، الأردن، ج1، 2004.
7. فراج سمير، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مركز الراية، (د.م.)، 2007.

8. الكاتب سيف الدين، **أطلس التاريخ الحديث**، دار الشرق العربي، بيروت، ط2، 2008.
9. الكاتب سيف الدين، **أطلس تاريخ العرب والعالم**، دار الشرق العربي، بيروت، ط2، 2008.
10. مقلد الغنيمي عبد الفتاح، **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994.
11. الهاشمي عبد المنعم، **موسوعة تاريخ العرب العباسي والعصر الفاطمي**، مكتبة الهلال، بيروت، 2006.

ملخص

ملخص البحث:

يعتبر موضوع موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر ومحمد علي باشا موضوعا بالغ الأهمية لما صاحبه من تأثير فعال في تاريخ مصر إبان القرن الثامن عشر وما ترتب عليه من تغيرات سياسية هامة حيث أردنا أن نبرز ذلك الموقف الإيجابي الهام الذي حسب لصالح مشايخ وعلماء الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر والذين لم يدخروا أدنى جهد في الدفاع عن دينهم ووطنهم وبعد جلاء الفرنسيين من مصر ظل مشايخ وعلماء الأزهر بنفس الدور الفعال الذي عهدهم عليه الشعب المصري وذلك من خلال إحتوائه لمختلف الأوضاع المتأزمة التي مرت بها مصر في الفترة الممتدة من 1801 إلى 1805 حيث كانوا هم من نصبوا محمد علي باشا واليا على مصر سنة 1805 إلا أن هذا الأخير لم يعترف بجميلهم عليه فتنكر لهم وأبعدهم عن أمور السياسة لتتفرغ له الأمور بعد ذلك من أجل تنفيذ مخططاته في مصر.

Résumé :

L'attitude d'el-Azhar vis-à-vis de la campagne française au Egypte et vis-à-vis de Mohamed Ali pacha est un sujet hautement important au vu de l'influence effective qu'ils eurent dans l'histoire égyptienne au cours du XIXe siècle et les répercussions politique importantes qui en d'écoutèrent.

Nous avons voulu mettre en exergue le rôle positif des Shaikh et oulémas d'El-Azhar de la dite campagne et les efforts qu'ils firent pour la défense de leur religion et de leur « patrie » et après le réembarquement des Français, les scheiks et les oulémas jouèrent le même rôle durant la période trouve que connut l'Egypte de 1801 à 1805, car ce sont eux qui étirent Mohamed Ali Pasha gouverneur (Wali) de l'Egypte en 1805. Mais ce dernier ne leur fut pas reconnaissant, et l'éloignement des affaires pollutions, pour qu'il gouverne seul et exécute les plans qu'il a tracé pour l'Egypte à sa convenance.

فهرس الموضوعات

- **كلمة شكر**
- **إهداءات**
- **مقدمة**

الفصل الأول: جامع الأزهر عبر التاريخ

1- جامع الأزهر عبر التاريخ.....08
أ. ظروف إنشاء جامع الأزهر.....08
ب. إنشاء جامع الأزهر.....12
ج. سبب تسميته بجامع الأزهر.....13
د. دور الأزهر والهدف من بناءه.....14
2- الأزهر منذ عهد الدولة الفاطمية إلى غاية الحكم العثماني لمصر.....15
أ. الأزهر في العهد الفاطمي.....15
ب. الأزهر خلال عهد الدولة الأيوبية.....19
ج. الأزهر إبان عهد الممالك.....22
د. الأزهر خلال عصر الدولة العثمانية.....24
3- كفاح الأزهر في عهد المماليك.....26
أ. من موقف الشيخ الحفني إلى ثورة سنة 1697.....26
ب. كفاح الأزهر من سنة 1735 إلى غاية سنة 1795م.....30

الفصل الثاني: موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر

1- الحملة الفرنسية على مصر.....36
أ. أسباب الحملة الفرنسية على مصر.....36
ب. تطور الحملة الفرنسية في مصر.....39
2- موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الأولى.....48
أ. سياسة نابليون بونابرت اتجاه شيوخ الأزهر.....48
ب. أسباب قيام ثورة القاهرة الأولى.....50
ج. قيام ثورة القاهرة الأولى.....52
د. استهداف جامع الأزهر وإعدام علمائه.....56
هـ. نتائج ثورة القاهرة الأولى.....62

3- موقف الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر في ثورة القاهرة الثانية.....64
أ. ظروف اندلاع ثورة القاهرة الثانية.....64
ب. اندلاع ثورة القاهرة الثانية.....66
ج. انتقام كليبر من شيوخ الأزهر وعلمائه وقضية مقتله.....68
د. إغلاق جامع الأزهر.....70
هـ. نتائج ثورة القاهرة الثانية.....71

الفصل الثالث: موقف الأزهر من محمد علي باشا

1- أوضاع مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية منها.....74
2- ظروف تنصيب محمد علي باشا واليا على مصر.....77
أ. تعريف محمد علي باشا.....77
ب. دور محمد علي باشا في توطيد نفوذه داخل مصر.....80
3- موقف الأزهر من محمد علي باشا وانقلابه عليهم.....82
أ. دور مشايخ وعلماء الأزهر في تولية محمد علي باشا واليا على مصر.....82
ب. مساندة شيوخ وعلماء الأزهر لمحمد علي باشا أثناء حملة فريزر على مصر.....87
ت. انقلاب محمد علي باشا على مشايخ وعلماء الأزهر.....89
4- إصلاحات محمد علي باشا وعلاقته بالماسونية.....92
أ. إصلاحات محمد علي باشا.....92
ب. علاقة محمد علي باشا بالاسونية.....101

- **خاتمة**.....106
- **ملاحق**.....110
- **البيليوغرافيا**.....116
- **ملخص**.....124
- **فهرس الموضوعات**.....126